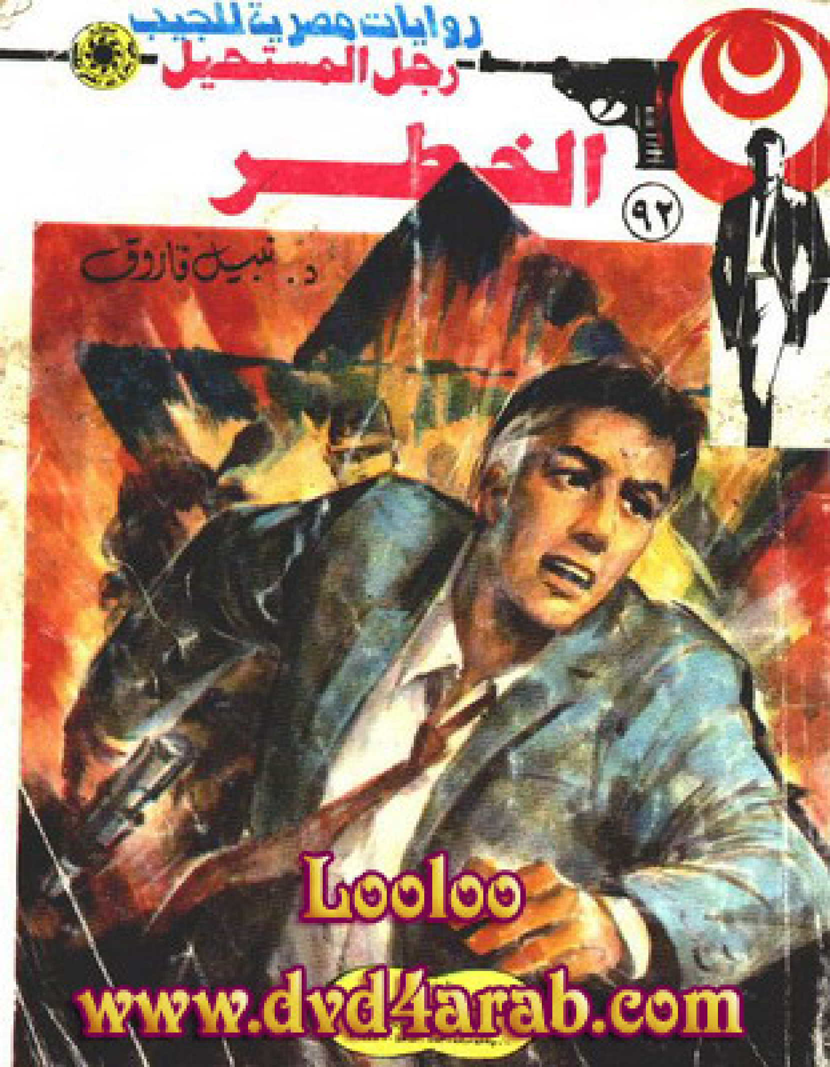

روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
الخطر
٩٢
د. نبيل فاروق
Looloo
www.dvd4arab.com

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لست لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - الصدمة ..

تهللت أسارير (قدرى) ، وهو يجلس فى مكتبه ، فى مبنى المخابرات العامة المصرية ، عندما رأى (منى) أمامه ، وهتف فى ارتياح واضح :

- مرحبًا يا (منى) .. كيف حالك يا صديقتى .. لم أرك منذ زمن طويل .

ابتسمت (منى) فى هدوء كعادتها ، وهى تقول :

- كيف حالك أنت يا (قدرى) .. لقد شعرت بالملل فى مكتبى ، وقرّرت القيام بزيارتك ، وتناول قدح من الشاى بصحبتك .

هتف بها فى حماس :

- ما رأيك فى تناول طعام الإفطار أيضًا ؟.. لدى هنا شطائر طازجة من الـ ..

قاطعته ضاحكة :

- الشاى فقط يا (قدرى) .. أرجوك .

مطّ شفتيه ، وهزّ كتفيه ، قائلاً :

- يا للخسارة !.. أما زلت تحافظين على قوامك ؟

ضحكت قائلة :

ـ هل يدهشك هذا ؟

التفت يشعل موقده الصغير ، ويضع فوقه إبريق الشاى ، وهو يقول :

ـ يدهشنى دائمًا أن يعانى البعض الكثير ، من أجل المحافظة على قوامهم ، أو إنقاص أوزانهم .. إننى سعيد بما أنا عليه ، و ...

انتفض جسده فجأة ، وارتطمت يده بإبريق الشاى ، فانسكب ما به من ماء أرضًا ، عندما اندفع (حسام) داخل الحجرة ، هاتفًا بغتة :

ـ هل سمعتما آخر الأخبار ؟

التفت إليه (قدرى) ، هاتفًا :

ـ (حسام) .. لقد أفزعتنى .

أما (منى) ، فسألته فى قلق :

ـ ماذا هناك يا (حسام) ؟

أجاب فى انفعال جارف :

ـ (أدهم صبرى) فى قلب (تل أبيب) .

جاء دور (منى) لتنتفض فى قوة ، وهى تهتف :

ـ ماذا تقول يا (حسام) ؟

أجابها (حسام) فى توتر :

ـ أقول : إن (أدهم صبرى) فى (تل أبيب) .. لقد أصدر الإسرائيليون منشورًا للبحث عنه منذ عدة ساعات ، وأرسل إلينا أحد رجالنا فى (تل أبيب) صورة من هذا المنشور بوساطة (الفاكسميلى) .

قالها وهو يضع المنشور أمامهما ، فاختطفته (منى) فى لهفة ، وراح قلبها يدق فى عنف ، وهى تتطلع إلى صورة (أدهم) ، التى تملأ نصف الصفحة ، مع كلمات عبرية تطالب بالإدلاء بأية معلومات عن هذا الرجل ، وتأمر كل رجل أمن فى (إسرائيل) بالبحث عنه ، وتصفيته لو لزم الأمر ..

ولكن كل هذا لم يكن السبب فى ذلك الهلع ، الذى ملأ قلبها ، وامتزج بشىء من اللوعة فى أعماقه ..

بل كان السبب هو الاسم ..

الاسم الذى وُضع أعلى الصورة ..

اسم (أدهم صبرى) ..

كان اسمه مكتوبًا بكل وضوح وصراحة ، وبحروف

عبرية كبيرة ، إلى جوار رمزه الكودى ، الذى اشتهر به فى الأوراق الرسمية للمخابرات ..

(ن ـ ١) ..

لقد كشف الإسرائيليون كل شىء ..

كشفوا وجود (أدهم صبرى) على قيد الحياة ..

ولكن لماذا ذهب إلى (تل أبيب) ؟ ..

لماذا ؟..

وفجأة تراصت فى عقلها عدة أمور ومعلومات ، بنفس النسق الذى تدربت على التفكير به ، فى عالم المخابرات ..

سفر المدير المفاجئ إلى (المكسيك) ..

وصول الكمبيوتر الجديد (سيميولاتور) إلى (إسرائيل) ..

هذا المنشور ..

لقد فهمت (منى) الموقف كله فى لحظة واحدة ..

فهمته ولكنها لم تكن تعلم تفاصيله بالتحديد ، ولهذا هتفت من أعمق أعماقها :

ـ ماذا حدث يا (قدرى) ؟.. ماذا حدث ؟

وكان هذا بالفعل هو السؤال ..

ماذا حدث بالتحديد ؟..

★ ★ ★

كانت البداية فى (كيولوا) ..

فى مزرعة (أدهم) فى (المكسيك) ..

هناك التقى فجأة بمدير المخابرات المصرية ، الذى حضر خصيصًا لزيارته ، وطالبه بالعمل مرة أخرى من أجل (مصر) ، والمخابرات المصرية ، حتى ولو لم يعد للعمل فى صفوف المخابرات ..

ولم تكن المهمة هذه المرة بسيطة ..

بل كانت مهمة مستحيلة ..

واحدة من المهام التى لا يصلح لها سوى رجل واحد ..

رجل المستحيل ..

لقد تسلمت (إسرائيل) من الولايات المتحدة الأمريكية جهاز كمبيوتر جديد ، يزيد من قدراتها عشر مرات على الأقل ، ولا أحد يعلم أين يخفى الإسرائيليون هذا الكمبيوتر الجديد ، المعروف باسم (سيميولاتور) ..

وكان على (أدهم) أن يدمر هذا الكمبيوتر الجديد ..

أو يفسد مفعوله على الأقل ..

ولم يتردد (أدهم) لحظة واحدة ..

لم يتردد أبدًا فى القتال من أجل (مصر) ..

وسافر (أدهم صبرى) إلى تل أبيب ، ليبدأ مهمته ، دون أن يدرك أنه سيواجه فى الوقت ذاته خصمين ، كل منهما يحتاج إلى جيش كامل ..

(موشى حاييم دزرائيلى) ، الذى لم يلق مصرعه فى (ألمانيا الشرقية) ، والذى ظلّ يحلم بهدف واحد ، يعيد إليه كرامته وثقته ..

بتدمير (أدهم صبرى) ..

و(سونيا جراهام) ، التى هاجرت سرًا إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وأصبحت تمتلك شركة الإليكترونيات الكبرى فى (نيويورك) ، وتديرها بوساطة مدير زائف ، يدعى (تونى بورسالينو) ، وتخطط للسيطرة على عالم الجاسوسية بأكمله ، والقضاء على خصمها اللدود ، وزوجها السابق ..

القضاء على رجل المستحيل ..

ووسط كل هذا بدأت مهمة (أدهم) ..

وفتح الجحيم أبوابه ..

لقد كشف (موشى) أمر (أدهم صبرى) ، وراح يطارده فى قلب (تل أبيب) ، ثم قرّر مدير المخابرات الإسرائيلية (الموساد) الإطباق على (أدهم صبرى) ، وتدميره تمامًا ..

وبدأت مطاردة من أخطر المطاردات فى حياة (ادهم صبرى) ..

مطاردة فى (تل أبيب) ..

واشتركت كتيبة كاملة فى مطاردة وقتال رجل المستحيل ، حتى حاصرته هليوكوبتر حربية داخل كوخ خشبى صغير ، وأطلقت نحوه صواريخها ، و ...

وانفجر الكوخ ..

نسفته صواريخ الهليوكوبتر نسفًا ..

ولم يصدّق (موشى) ، ما حدث ، حتى وصلته رسالة من قائد المطاردة (إفرام) ، تبلغه بالعثور على جثة الرجل ..

رجل المستحيل ..

* * *

انتفخت أوداج (إفرام) فى زهو ، وهو يدلف إلى حجرة مدير المخابرات الإسرائيلية ، ويؤدى التحية العسكرية ، قائلًا :

ـ انتهت المهمة بنجاح يا سيّدى .. تمت تصفية الخصم .

ابتسم مدير (الموساد) فى ارتياح ، وقال :

ـ عمل رائع يا (إفرام) .. أحسنت .. توقع مكافأة قريبًا .

اتسعت ابتسامة (إفرام) ، وهو يختلس نظرة شامتة إلى (موشى) ، الذى عقد حاجبيه ، قائلًا :

ـ أأنت واثق من مصرعه يا (إفرام) ؟

ضحك (إفرام) فى زهو ، وقال :

ـ كنت أعلم أنك ستلقى هذا السؤال يا عزيزى (موشى) ، فمن الطبيعى أن تشعر بشىء من الغيرة ؛ لأنك لم تكن صاحب اليد الطولى ، فى القضاء على تلك الأسطورة ؛ ولذلك التقطت لجثته .. أقصد لبقايا جثته بعض الصور الفورية .

وأخرج من جيبه عدة صور فورية ، وضعها على مكتب مدير (الموساد) ، الذى التقطها ، وتطلع إليها فى اهتمام ، ثم هز رأسه ، مرددًا مرة أخرى :

ـ عمل رائع يا (إفرام) .

تناول (موشى) الصور ، وتأملها فى اهتمام ..

كان أقل ما يمكن أن توصف به هذه الصور هو أنها بشعة ، فلم تكن تحوى سوى أشلاء متناثرة لجثة ، شوهتها النيران ، ومزقتها الصواريخ إربًا ، وكان من المستحيل تحديد هوية صاحبها ، بكل ما أصابها ، وإن كانت بقايا

الحلة التى يرتديها تشبه تمامًا تلك التى كان يرتديها (أدهم صبرى) ، فى آخر مرة رآه فيها (موشى) فى الفندق ..

وانعقد حاجبا (موشى) أكثر وأكثر ، وراح عقله يعمل فى سرعة وقوة كعادته ، ثم لم تلبث ابتسامة باهتة أن ارتسمت على شفتيه ، وهو يعيد الصور إلى (إفرام) ، قائلًا :

ـ عمل رائع بحق .

قالها بشىء من السخرية ، قبل أن تختفى ابتسامته ، وتتلاشى بغتة ، لتترك خلفها وجهه الجامد وملامحه الباردة ، فتطلع إليه (إفرام) فى شك وتوتر ، قبل أن يقول فى حدة :

ـ إنك لا تثق بمصرعه .. أليس كذلك ؟

أجابه (موشى) فى برود ، وهو يتجه إلى باب حجرة المدير :

ـ هل نسيت قاعدة العمل فى جهازنا يا رجل ؟

وفتح الباب ، ثم التفت إليه ، مستطردًا :

ـ لا تثق بأى شىء .. أو بأى شخص .

وأغلق الباب خلفه فى حزم ، ثم عبر الممر الطويل أمامه فى سرعة كبيرة ، متجهًا إلى سيارته ، وفى رأسه فكرة .. فكرة بالغة الغرابة ..

وبالغة الخطورة .

* * *

٢ ـ الثعالب ..

داعبت أصابع (سونيا جراهام) فى نعومة شعر قطها الفارسى الأبيض ، الذى استكان للمساتها ، فأغلق عينيه فى تكاسل ، وتناوم قليلا ، فى حين راحت هى تنفث دخان سيجارتها الرفيعة فى بطء ، وهى تتطلع إلى صغيرها الغارق فى أحلامه ، قبل أن تتنهد مغمغمة :

ـ حاول أن تفهمنى يا صغيرى .

لم يكن من المنطقى أن تتحدث على هذا النحو ، مع طفل لم يتجاوز عامه الأول ، ويستغرق فى نوم عميق ، إلا أنها كانت فى الواقع تتحدث إلى نفسها ، وهى تستطرد :

ـ لست أسعى لقتل والدك وتدميره ، لأننى أبغضه أو أكرهه .. لقد حاولت إقناع نفسى بكراهيته ، ولكننى فشلت .. لست أدرى ما الذى فعله بى هذا الرجل بالضبط ؟.. كيف أيقظ روح الأنثى فى أعماقى ، وجعل قلبى ينبض ، بعد أن تصورت أنه قد من صخر ؟!.. أحببته يا صغيرى .. أحببته .. وغرقت فى حبه حتى النخاع .. أنا (سونيا جراهام) ، التى مزقت قلوب عشرات الرجال ، وأراقت دماء المئات ، دون أن يطرف لها رمش .. أنا غارقة فى حب رجل .. ورجل مصرى ..

قاومت شعورًا لم تعتده ، ورغبة عجيبة فى البكاء ، وتابعت فى حدة :

ـ ولكن هذا الرجل لم يبادلنى الحب .. على الرغم من كل ما فعلته من أجله ، لم يمكنه إقناع قلبه بحبى ، بل تركنى دون تردُّد ، عند أوّل نداء من حبيبته السابقة .. تركنى وقاتل العالم من أجلها .. ألا يستحق أن أقتله من أجل هذا ؟

اضطرب الصغير فى مهده ، مع صراخها المرتفع ، ولكنه واصل نومه ، فى حين سمعت هى دقات مرتبكة على باب الحجرة ، فهتفت فى عصبية :

ـ من هناك ؟

فتح الباب فى حذر ، وأطلت منه مربية الصغير ، وهى تقول فى ارتباك :

ـ معذرة يا سيدتى ، ولكننى سمعتك تصرخين ، و ...

قاطعتها (سونيا) بحدة :

ـ وما شأنك أنت ؟

شحب وجه المربية ، وهى تقول :

ـ أخشى أن يزعج هذا الصغير ، فعلماء النفس يقولون ..

قاطعتها (سونيا) مرة أخرى :

ـ فليذهب علماء النفس إلى الجحيم .

ازدردت المربية لعابها ، وغمغمت :

ـ فليكن يا سيِّدتى ، ولكن ماذا عن التدخين ؟

صاحت بها (سونيا) :

ـ ماذا عنه ؟

أجابت فى اضطراب :

ـ الحجرة مغلقة ، والصغير نائم ، وليس من الحكمة صحيًا أن ..

قاطعتها (سونيا) للمرة الثالثة فى عصبية :

ـ هل ستنظمين علاقتى بابنى ؟

بدت المربية المسكينة شديدة التوتر وهى تقول :

ـ معذرة يا مسز (آرثر) ، ولكننى أتقاضى مرتبى من أجل هذا .

عقدت (سونيا) حاجبيها فى شدة ، وانكمشت المربية فى مكانها ، وقد بدا لها أن (سونيا) ستنفجر فى وجهها بغتة ، إلا أن (سونيا) لم تلبث أن قالت :

ـ فليكن .. سأتركه لك ، فلا وقت لدى عمليًا له .

قالتها واندفعت نحو الباب ، فتنحنحت المربية ، وتمتمت فى ارتباك :

ـ معذرة يا مسز (آرثر) .

التفتت إليها (سونيا) هاتفة :

ـ ماذا هناك أيضًا ؟.. هل أخرج من سلم الخدم ؟

شحب وجه المربية مرة أخرى ، وهى تقول :

ـ عفوًا يا سيِّدتى .. إنما أردت أن أخبرك أن مستر (بورسالينو) ينتظرك فى مكتبك بالطابق السفلى .

مطت (سونيا) شفتيها ، وقالت فى حدة :

ـ حسن .. سأذهب إليه .

وصفقت الباب خلفها فى عنف ، جعل المربية والطفل ينتفضان فى قوة ، ثم لم تلبث المربية أن التفتت إلى الصغير ، وربتت عليه فى حنان ، متمتمة :

ـ لا تفزع يا صغيرى .. عد إلى نومك .. يالك من مسكين !.. كيف أنجبتك هرة وحشية كهذه ؟!

أما (سونيا) ، فقد هبطت إلى حجرة مكتبها ، ونهض (تونى بورسالينو) لاستقبالها فى احترام ، وهى تسأله :

ـ ماذا هناك يا (تونى) ؟



ـ لقد أنتج الرجال جهاز التصنت الذى طلبته . ثم أخرج من جيبه علبة صغيرة ، فى حجم علبة ثقاب ...

قال فى سعادة واضحة :

ـ لقد أنتج الرجال جهاز التصنت الذى طلبته .

ثم أخرج من جيبه علبة صغيرة ، فى حجم علبة ثقاب ، وفتحها فى حرص ، ثم أشار إلى كرة صغيرة ، فى حجم حبة من الحمص ، ترقد فى قاع العلبة ، وهو يستطرد فى حماس :

ـ ها هوذا .. أصغر (ميكروفون) وجهاز تصنت فى العالم أجمع ، بقوة تكفى لنقل حديث هامس بين عاشقين ، عبْر بحيرة واسعة ، وسط موقع بناء غارق فى الصخب والضجيج .

تطلعت فى اهتمام بالغ إلى الجهاز ، وسألته :

ـ هل تم اختباره ؟

هتف :

ـ والنتائج بالغة الروعة .

ابتسمت فى ارتياح ، قائلة :

ـ عظيم .. إننا نقترب من الهدف تدريجيًا

سألها فى اهتمام :

ـ سيدتى .. هل يمكننى معرفة هذا الهدف بالضبط ؟

أطلقت ضحكة ساخرة ، وقالت :

ـ لا يا عزيزى (تونى) .. لا يمكنك معرفته .

بدا الضيق على ملامحه ، وهو يقول :

ـ مسز (جوان آرثر) .. لا تنسى أننى كاتم أسرارك ، وصاحب الشركة الظاهرى .

قالت فى شراسة مباغتة :

ـ وأنك تتقاضى مليون دولار سنويًا مقابل هذا .. أليس كذلك ؟

انكمش أمام ثورتها ، وهو يغمغم :

ـ بلى يا مسز (آرثر) .. بلى .

اعتدلت فى مقعدها ، وأشعلت سيجارة أخرى ، وهى تقول :

ـ والآن ماذا عن التقارير التى طلبتها ؟

ناولها أسطوانة كمبيوتر ، وهو يقول :

ـ هذا أحدث ما حصلنا عليه من الولايات المتحدة الأمريكية ، و(مصر) ، و(إسرائيل) .

تناولت الأسطوانة ، ودستها فى جهاز الكمبيوتر على مكتبها ، وتابعت تلك المعلومات التى تتراص على الشاشة

فى اهتمام بالغ ، ثم لم تلبث أن هتفت ، وهى تقفز لتضغط أحد الأزرار ، لتثبيت المشهد على الشاشة :

ـ يا للشيطان !

سألها (تونى) فى قلق :

ـ ماذا هناك ؟

تجاهلته تمامًا ، وهى تطالع المعلومات للمرة الثانية ، وتلقى نظرة طويلة على الشاشة ، التى تحمل صورة ذلك المنشور ، الذى حمل بدوره صورة (أدهم صبرى) ، ثم هتفت :

ـ لماذا ذهب إلى هناك ؟.. وما الذى أصابه ؟

هتف (تونى) :

ـ من هذا يا سيدتى ؟

مرة أخرى تجاهلته تمامًا ، وهى تعود إلى مقعدها ، وتلتقط نفسًا عميقًا من سيجارتها ، وتعقد حاجبيها فى شدة ، والسؤال الثانى يتردد أكثر من مرة فى أعماقها ..

ما الذى أصاب (أدهم) فى تل أبيب ؟..

ما الذى أصابه ؟..

* * *

«مات ؟!..» .

هتفت (منى) بالكلمة ، وقد اشترك قلبها ولسانها فى ارتجافة قوية عنيفة ، وشحب وجهها بشدة ، و (حسام) يجيب فى مرارة :

- هذا ما أعلنه الإسرائيليون ، ولقد نقلت أجهزة إعلامهم صورة لأشلاء جثته ، مع بيان من وزير الدفاع .

صاحت والدموع تقفز من عينيها على الرغم منها :

- مستحيل !.. مستحيل أن يكونوا قد قتلوه !

قال (حسام) فى ألم :

- لا يوجد مستحيل يا (منى) .. إنها الحياة .. ما من شىء أو شخص يدوم .

تركت دموعها تسيل على وجنتيها لحظات ، ثم اندفعت فجأة خارج حجرتها ، فلحق بها (حسام) ، هاتفًا :

- إلى أين ؟

لم تجب ، وانطلقت تعدو عبر الممر ، وهو خلفها ، حتى اقتحمت حجرة (قدرى) ، هاتفة :

- (قدرى) .

كان (قدرى) منكفئًا على مكتبه ، ولقد رفع وجهه عند سماعه لصوتها ، والتفت إليها يواجهها فى بطء ، فهتفت مرة أخرى ، وقد امتزجت اللوعة بالمرارة فى صوتها :

- (قدرى) .

كان وجهه غارقًا فى بحر من الدموع ، وعيناه محمرتان كقطعتين من جمر ملتهب ، وهو يقول فى حزن ومرارة ، لا حدود لهما :

- لقد مات .

هتفت به :

- لا يا (قدرى) .. (أدهم) لم يمت بعد .

غمغم باكيًا :

- حقًا ؟

وتمتم (حسام) :

- (منى) . أعلم أنه من العسير عليك أن ..

قاطعته هاتفة :

- صدقانى .. (أدهم) لم يمت .. لن يظفر به الإسرائيليون ، بعد كل هذا .. لن تكون نهايته هناك .

قال (حسام) فى حدة :

- ألديك دليل واحد على كونه على قيد الحياة ؟
صاحت فى حزم :
- بالطبع .
ثم أشارت إلى صدرها ، مستطردة :
- قلبى .
توقفت دموع (قدرى) بغتة ، وتبادل مع (حسام) نظرة متوترة ، قبل أن تقول (منى) فى حسم :
- (قدرى) .. أريد أن أسافر إلى (تل أبيب) .
وضربت بقبضتها على سطح مكتبه ، مستطردة :
- الآن .
وكانت لهجتها حازمة ..
وحاسمة ..

* * *

ابتسم العقيد (أورلوف) ، مسئول الكمبيوتر الجديد (سيميولاتور) ، وهو ينهض لاستقبال (موشى) فى مكتبه ، وصافحه وهو يقول :
- مرحبًا يا (موشى) مرحبًا بك فى تحفة الحرب الإليكترونية الحديثة .. قل لى يا رجل : كيف أمكنك إقناعهم

بمنحك تصريحًا بزيارة مقرنا السرى هذا ؟.. إنهم يحيطوننا بشبكة رهيبة من الأمن ، تكاد تلزعنى أنا أيضًا .
أجابه (موشى) ببروده المعهود :
- أنسيت أننى واحد من المشرفين على جهاز الأمن الرهيب هذا ؟
ضحك (أورلوف) ، قائلًا :
- هذا صحيح .
وأشار إليه بالجلوس ، ثم سأله :
- وما سر زيارتك هذه .. أهى عمل أمنى ؟
أجابه (موشى) .
- بل مجرّد اختبار لقدرات (سيميولاتور) ، فى مجال التنبؤ الأمنى .
تطلّع إليه (أورلوف) لحظة فى صمت ، ثم سأله :
- وما نوع التجربة ؟.. هل ستصنع حربًا وهمية ، بيننا وبين المصريين ، أم ..
قاطعه (موشى) :
- بل هى تجربة أبسط من هذا بكثير .
ثم مال نحوه ، مستطردًا :
- سنتتبّع جاسوسًا .

هتف (أورلوف) :

ـ فقط ؟!.. يا لها من تجربة تافهة يا عزيزى (موشى) .. لقد تم تصميم (سيميولاتور) ليقوم بما هو أعظم .

قال (موشى) فى برود :

ـ إنها مجرد تجربة .

تطلع إليه (أورلوف) مرة أخرى فى حيرة وصمت ، ثم قال :

ـ فليكن يا (موشى) .. دعنا نر هل ستفلح تجربتك هذه أم لا .

واتجه إلى ركن من أركان الحائط ، وضغط زرًا خفيًا فيه ، فانفتح الحائط ، وانكشفت خلفه شاشة كبيرة ، أشار إليها (أورلوف) ، قائلًا :

ـ هذه الشاشة ترتبط مباشرة بالكمبيوتر .. يمكنك إجراء تجربتك عليها ، فهى واحدة من عشر شاشات ، تنظم عمل ما يقرب من ألفى قناة للمعلومات ، يتم تغذية (سيميولاتور) بها طوال الوقت .

نهض (موشى) من مكانه ، وجلس أمام الشاشة ، ثم بدأت أصابعه تضغط أزرار الكمبيوتر ، وتنقل إلى الشاشة

ما لديه من معلومات ، خاصة بتلك التجربة الخاصة ، التى أراد إجراءها مع (سيميولاتور) ..

وقال (أورلوف) ، وهو يغادر الحجرة :

ـ سأتركك تصنع تجربتك وحدك .. ولا تنس المرور على حجرتى ، قبل أن تغادر المقر السرى .

غمغم (موشى) ، وهو مشغول بالشاشة تمامًا :

ـ سأفعل .

استغرق ساعة كاملة ، فى نقل كل ما لديه من صور ومعلومات ، إلى الكمبيوتر المتفوق ، ثم اعتدل فى مقعده ، وألقى السؤال الذى جاء من أجله :

ـ هل لقى (أدهم صبرى) مصرعه بالفعل ؟

وبدأ (سيميولاتور) عمله ، وراح يرسم المشاهد شبه الحية على الشاشة .

وكانت مفاجأة ..

مفاجأة مدهشة .

★ ★ ★

٣ ـ اللقـاء الثـانى ..

تطلّع (زياد) فى اهتمام بالغ ، إلى الرجل الذى يجلس أمامه ، والذى يرتدى زى جنرال فى الجيش الإسرائيلى ، ثم هزّ رأسه ، وهتف :

ـ إنها معجزة بحق .

ابتسم الرجل ، وقال :

ـ ما هى المعجزة ؟

أشار إليه (زياد) ، وقال :

ـ أن تبدّل ملامحك إلى هذه الدرجة المذهلة !.. لقد صرت نسخة طبق الأصل من الجنرال (بن عازر) ، فى هيئته وصوته ، ودون أن يعاونك أحد .. بل ومن المستحيل أن يلاحظ أى مخلوق ذلك القناع البالغ الرقة ، الذى ترتديه فوق وجهك ، حتى لو حدق فيه مباشرة .. أين تعلّمت هذا يا سيّد (أدهم) ؟

لوّح (أدهم صبرى) بكفه ، وقال فى هدوء :

ـ لقد أجدته قبل أن أبلغ نصف عمرك يا صديقى .. ورحم الله والدى ، الذى صنع منى ذلك المحترف ، الذى تراه أمامك الآن .

هتف (زياد) فى حماس :

ـ إنك لست محترفًا فحسب .. إنك عبقرى وموهوب أيضًا .. لن أنسى أبدًا تلك الخطة المعقدة ، التى أعددتها لتخدع الإسرائيليين .. لقد جذبتهم واستدرجتهم إلى هذا الكوخ ، المجاور لفيلات الجنرالات ، والذى يقع على مقربة من فيلا الجنرال (بن عازر) ، ومن داخله عبرت ذلك الممر الصغير ، الذى أعددناه مسبقًا ، والذى ينتهى خلف مجموعة الصخور ، وتركت خلفك تلك الجثة ، التى سرقناها من مشرحة المستشفى ، وألبسناها حلتك ، ووضعنا فى جيبها جواز السفر ، الذى يحمل اسم الفرنسى (جان ريمون) .. وعندما نسفت الهليوكوبتر الكوخ ، ومزّقت الجثة ، كنت أنت خلف الصخور ، تتسلّل إلى فيلا (بن عازر) ، وتنتحل شخصيته ، بعد أن ألقينا القبض عليه وسجناه .. يا لها من خطة !.. لقد أعلنوا مصرعك بالفعل ، ويمكنك الآن أن تجوّل فى (تل أبيب) كما تشاء ، فى هيئة (بن عازر) ، وتضع خطة جديدة ، للوصول إلى (سيميولاتور) ، وتدميره .

قال (أدهم) فى هدوء :

ـ تدميره لن يفى بالغرض .

سأله (زياد) فى دهشة :

- ماذا ستفعل به إذن ؟

ابتسم (أدهم) ابتسامة غامضة ، وقال :

- دع هذا لوقته يا صديقى .

ثم اعتدل مستطردًا :

- أما الليلة ، فسأقوم بزيارة هامة للغاية .. زيارة لصديقى العزيز ، العقيد (أورلوف) .

وازدادت ابتسامته غموضًا ..

* * *

«لست أوافق على هذا ..» .

نطق مدير المخابرات العامة هذه العبارة فى حزم ، وهو يتطلع إلى (منى) و (حسام) و (قدرى) .. الذين وقفوا أمامه ، وبيد كل منهم جواز سفر زائف ، يحمل أسماء أجنبية ، وتأشيرة بالغة الإتقان ، لدخول (إسرائيل) ، فقالت (منى) فى توتر ملحوظ :

- لا يمكننى البقاء هنا ، وتركه يواجه الخطر هناك .

تطلع إليها المدير لحظة فى صمت ، ثم قال :

- لماذا أنت واثقة إلى هذا الحد ، فى وجوده على قيد الحياة ؟

عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى صرامة :

- لدى أسبابى .

عاد يتطلع إليها بضع لحظات فى صمت ، ثم أدار وجهه إلى (حسام) ، وقال :

- وماذا عنك ؟

أجابه (حسام) فى هدوء لا يخلو من الحسم :

- أرى من واجبى أن أذهب إلى هناك ، فلو أن (أدهم صبرى) كان يقاتل من أجل حرمان (إسرائيل) من (سيميولاتور) ، وهو رسميًا خارج صفوف المخابرات ، فالأفضل أن أكمل أنا مهمته ، من بين صفوفها ، خاصة وأننى أحمل الـ ...

بتر عبارته لحظة ، ثم استطرد فى توتر :

- أحمل لقب (ن - ٢) .

قال المدير فى خفوت :

- هذا صحيح .

ثم سأل (قدرى) :

- ألديك أنت أيضًا ما يبرر سفرك ؟

أجابه (قدرى) فى خفوت ، وبلهجة حازمة ، لم يعتد النطق بها عادة :

- إنه صديقى الوحيد .

صمت مدير المخابرات العامة المصرية طويلًا هذه المرة ، وهو ينقل بصره بين وجوههم جميعًا ، ثم قال :

- أتعلمون أنكم تخالفون بمطلبكم هذا أبسط قواعد العمل ، فى عالم المخابرات ؟ .. إننا لا نرغب أبدًا فى إتيان هذا العمل علانية ، ولعل هذا أحد أسباب اختيارى لـ (أدهم صبرى) .. إننا نستطيع ببساطة إنكار وجوده بين صفوفنا .. بل يمكننا أن ننكر رسميًا معرفتنا بوجوده على قيد الحياة ، إذا ما تعقدت الظروف ، أما ذهابكم ، فيعنى أننا نقاتل بشكل رسمى وواضح .

بدا التوتر على وجوههم ، فاستطرد بسرعة :

- هذا لو أنكم ستفعلونها بالفعل .

هتفت (منى) :

- ماذا تعنى يا سيدى ؟

أجابها مبتسمًا :

- (أدهم) ما يزال على قيد الحياة .

برقت عيونهم فى شدة ، ثم انعقد حاجبا (حسام) ، وتهللت أسارير (قدرى) ، وترقرقت الدموع فى عينيه ، وهو يهتف :

- حى !.. حقًا ؟!

أما (منى) ، فقد تجمعت الدموع فى عينيها ، وهى تقول :

- (أدهم) على قيد الحياة .. كيف عرفت يا سيدى ؟

أجابها المدير :

- تلقيت برقية شفرية بهذا ، من أحد رجالنا فى (تل أبيب) ، عن طريق وسيط فلسطينى ، ولقد تم إرسال البرقية إلى (باريس) ، ومنها إلى (روما) ، وبعدها إلى هنا مباشرة .. إنه على قيد الحياة ، ويواصل مهمته فى سبيل القضاء على فاعلية (سيميولاتور) .

تمتم (حسام) :

- إذن فهو سيكمل المهمة .

أومأ المدير برأسه إيجابًا ، وقال :

- أتعشم هذا .

ثم اعتدل فى مقعده ، وأضاف فى حزم :

- ولكن احتفظوا بجوازات سفركم فى أيديكم ، وبحقائبكم مغلقة ومتأهبة ، فالمهمة لم تنته بعد ، ولا أحد يدرى ما إذا كان (أدهم) سيحتاج إليكم أم لا ..

وفى هذه المرة كان المدير على حق تمامًا ..

لا أحد يدرى ..

لا أحد ..

* * *

لم يكد فريق الأمن ، الذى يقوم على حراسة منزل (أورلوف) ، يلمح أضواء مصابيح السيارة القادمة من بعيد ، حتى شهروا مدافعهم الآلية ، وتأهبوا فى تحفز ، وتابعت أعينهم تلك السيارة ، حتى توقفت أمام البوابة ، فتقدم منها قائدهم ، وسأل سائقها فى صرامة :

ـ إلى أين ؟

أجابه السائق فى هدوء ، وبلغة عبرية سليمة ، وهو يشير إلى المقعد الخلفى :

ـ الجنرال (بن عازر) ، فى زيارة لصديقه العقيد (أورلوف) .

اعتدل قائد الأمن فى احترام ، وهو يلقى نظرة على (أدهم) ، الذى بدا نسخة طبق الأصل من (بن عازر) ، وألقى الرجل التحية العسكرية ، وهو يقول :

ـ معذرة يا سيدى الجنرال ، ولكننى لم أتلق تعليمات مسبقة بالزيارة .

قال (أدهم) فى استنكار :

ـ تعليمات مسبقة !؟.. وهل يحتاج الأمر إلى تعليمات مسبقة ، ليزور المرء صديقًا قديمًا .

قال قائد الأمن :

ـ الأوامر لدى تحتم ..

صاح به (أدهم) فى صرامة :

ـ أية أوامر أيها الملازم ؟.. هل جننت ؟.. إنك تتحدث إلى جنرال فى الجيش الإسرائيلى .. ألا تفهم ما يعنيه هذا ؟ .. أفسح الطريق للسيارة ، ودعنا نلتق بصديقى (أورلوف) .

ارتبك قائد الأمن ، ولم يدر ما يفعله ، فتمتم :

ـ الواقع يا سيدى .. إننى ..

دفع (أدهم) باب السيارة فى عنف ، واندفع خارجها ، صائحًا :

ـ سألقنك درسًا أيها الملازم .. ينبغى أن تتعلم كيف ..

وفجأة ، بتر عبارته ، وترنح على نحو عجيب ، ولوح بيده وكأنه ينشد المساعدة ، فاندفع (زياد) خارج السيارة ، التى ينتحل شخصية سائقها ، وهتف :

ـ سيدى .. لقد عاودته النوبة .

ارتبك قائد الأمن أكثر ، وهو يقول :

ـ أية نوبة ؟

تجاهله (زياد) تمامًا ، وهو يقول لـ(أدهم) :
ـ هل نعود إلى المنزل يا سيِّدى الجنرال ؟
أجابه (أدهم) ، وهو يتظاهر بالإعياء :
ـ كلا يا (أيجور) .. إنه الانفعال فحسب .. سأستريح قليلًا عند صديقى (أورلوف) ، وينتهى كل شيء .. هيا أيها الجندى .. اصعد بى إلى منزل (أورلوف) .
لم يعد أمام قائد الأمن ، والحال هكذا ، سوى أن يعاون (أدهم) على الصعود إلى منزل (أورلوف) ، الذى استقبله بدهشة شديدة ، وهو يهتف :
ـ جنرال (بن عازر) .. ما الذى ..
قطع (أدهم) سؤاله ، وهو يجيب فى سرعة :
ـ لا تقلق يا عزيزى (أورلوف) .. إنه دوار بسيط ، وسيشفى بعد قليل .
لم يفهم (أورلوف) العلاقة بين سؤاله وجواب (أدهم) ؛ فلم يكن ينوى سؤاله عما أصابه ، وإنما أراد سؤاله عن سبب قدومه ، فى هذا الوقت ، إلا أن (أدهم) لم يمنحه الفرصة لمزيد من التساؤل ، وهو يلتفت إلى قائد الأمن ، قائلًا :
ـ أشكرك يا فتى .. سأقضى بعض الوقت مع صديقى (أورلوف) ، ثم أعود إلى منزلى .. أخبر سائقى بهذا ، واطلب منه التأهب للرحيل فى أية لحظة .. شكرًا لك .



وفجأة ، بتر عبارته ، وترنح على نحو عجيب ، ولوّح بيده وكأنه ينشد المساعدة ...

قالها ودفعه فى رفق إلى خارج المنزل ، وأغلق الباب خلفه ، ثم التفت إلى العقيد (أورلوف) ، الذى بدا شديد الدهشة والحيرة ، وهو يسأل :

ـ سيّدى الجنرال (بن عازر) .. إنه ليدهشنى حقًا أن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، اتسعت عيناه فى مزيد من الدهشة ، عندما اعتدل (أدهم) فجأة ، وبدا أطول قامة من الجنرال (بن عازر) ، وهو يقول فى سخرية :

ـ يدهشك أن أزورك فى منزلك .. أليس كذلك ؟

تراجع (أورلوف) فى ذعر ودهشة ، وهو يهتف :

ـ يا للشيطان !.. هذا الصوت .. إنك لست الجنرال (أورلوف) ..

لقد صدق (موشى) .. إنك ..

ولكنه لم يتمّ عبارته ..

لم يتمها لأن قبضة (أدهم) هوت على فكه كالقنبلة ، وألقته مترين إلى الخلف ، فارتطم بأحد مقاعد حجرته ، ثم انقلب معه فاقد الوعى ..

وفى هدوء ساخر ، تمتم (أدهم) :

ـ لعل هذا يجيب عن سؤالك أيها الوغد .

ومع ابتسامته الساخرة ، اقترب من جسد (أورلوف) ،

وانحنى نحوه ، ولم يكد يلمسه ، حتى ارتفع صوت دقات عنيفة على باب الحجرة ، مع صوت قائد الأمن ، وهو يهتف :

ـ سيّدى العقيد .. ماذا حدث ؟.. لقد سمعت ضجة لديك .. سأضطر آسفًا لتنفيذ تعليمات الأمن ، فلو لم يتم فتح الباب خلال عشر ثوان ، سأطلق عليه النار ، ونقتحم المكان .. أكرّر .. سأضطر لتنفيذ تعليمات الأمن .

وأصبح الموقف حرجًا ..

حرجًا بحق .

* * *



٤ ـ ضربة مزدوجة ..

حدق (تونى بورسالينو) فى وجه (سونيا جراهام) بدهشة بالغة، وهو يهتف فى استنكار:

ـ أين ؟.. أسافر إلى أين ؟

نفثت دخان سيجارتها فى برود، وهى تجيب:

ـ إلى (إسرائيل) .. وفورًا .. لقد تم حجز مقعد باسمك، فى طائرة العاشرة، والساعة الآن الثامنة وعشر دقائق، وهذا يعنى أنه أمامك وقت قليل للغاية، لإعداد حقائبك، وإحضار جواز سفرك.

هتف فى حيرة:

ـ ولكن لماذا ؟.. ليس لدينا فرع هناك، و(إسرائيل) ليست من الدول الصناعية، و ...

قاطعته فى صرامة:

ـ نفذ ما أمرتك به.

لم يكن يملك معارضتها، فاكتفى بهز رأسه فى توتر، وهو يقول:

ـ ولكن ماذا سأفعل هناك ؟

أجابته فى حزم:

ـ ستلتقى برجل يُدعى (ليو دايان)، وتحمل إليه رسالة خاصة منى، وحقيبة نقود، وسيقوم هو بكل شىء.

سألها فى ضيق:

ـ ولماذا لا يتمّ الاتصال به هاتفيًا ؟

مطت شفتيها، قائلة:

ـ لأننى أميل إلى الحرص والحذر.

قال فى حنق:

ـ وما فائدة (ليو) هذا لنا ؟

قالت فى صرامة:

ـ ليس هذا من شأنك.

ثم ألقت نظرة على ساعة يدها، وأضافت:

ـ والآن هيا، وإلا فستفوتك الطائرة.

قال معترضًا:

ـ ولكن ماذا عن اجتماع مجلس الإدارة غدًا ؟

قالت فى برود:

ـ اتصل بسكرتيرك هاتفيًا، واطلب تأجيله.

بدا وكأن صبره قد نفد، وهو يهتف:

ـ سيّدتى .. هذا العمل لا يليق بى .. أى رجل تافه يمكنه القيام به ؟

ابتسمت فى هدوء، وهى تقول:

ـ ولكننى لا أثق بسواك.

سحرته ابتسامتها ، فتمتم مأخوذًا :

ـ كما تأمرين يا سيدتى .

وانحنى فى إعجاب واحترام ، ثم اندفع خارجًا للحاق بالطائرة ، فابتسمت هى فى سخرية ، وغمغمت :

ـ أوافقك تمامًا يا عزيزى (تونى) .. هذا العمل يحتاج إلى رجل تافه .. ولهذا اخترتك للقيام به ..

ثم أطلقت ضحكة عالية ..

ضحكة شيطانية ..

* * *

سرت موجة عنيفة من التوتر ، فى جسد قائد الأمن ، وهو يجذب إبرة مدفعه الآلى ، ويهتف فى صرامة :

ـ سأضطر إلى تنفيذ لائحة الأمن ، بعد سبع ثوان .. ست .. خمس ..

قبل أن يتم عبارته ، سمع صوت (أورلوف) ، وهو يهتف فى غضب :

ـ كفى يا رجل .. فلتكف عن سخافاتك هذه .

انعقد حاجبا قائد الأمن فى توتر ، وهو يتمتم :

ـ سخافات ؟!

فوجئ بالباب يُفتح بغتة ، ويطلّ منه العقيد (أورلوف) ، فى معطفه المنزلى ، وهو يهتف :

ـ لقد فقد الجنرال (بن عازر) وعيه .. استدع سائقه بسرعة .

ارتبك الرجل ، قائلًا :

ـ أهذا صوت الارتطام الذى سمعناه ؟

هتف (أورلوف) :

ـ بالطبع .. ماذا يمكن أن يكون إذن ؟.. هيا .. استدع السائق بأقصى سرعة .

قال قائد الأمن فى اهتمام :

ـ هل أستدعى سيارة إسعاف ؟

صاح به (أورلوف) :

ـ نفذ ما أمرتك به .

أدى الرجل التحية العسكرية ، وهو يقول :

ـ كما تأمر يا سيدى .

واندفع خارج المكان فى حماس ، فابتسم (أورلوف) ، وقال ساخرًا :

ـ هيا أسرع ، وامنحنى فرصة إكمال عملى .

وأغلق الباب فى هدوء ، ثم استدار يتطلع إلى



وارتدى معطف (أورلوف) مرة أخرى ، فى نفس اللحظة التى عاد فيها قائد الأمن ، وهو يصطحب (زياد) ، الذى تظاهر بالجزع ..

(أورلوف) الحقيقى ، الملقى أرضا ، وإلى قناع (بن عازر) ، الذى انتزعه عن وجهه بسرعة مدهشة ، ليكشف أسفله ذلك القناع ، الذى يحمل وجه (أورلوف) ، عندما سمع صوت قائد الأمن ..

لقد تحرّك عندئذ فى سرعة مذهلة ، فانتزع عن (أورلوف) معطفه المنزلى ، وارتداه وهو ينزع قناع (بن عازر) ..

كل هذا فعله فى ثانيتين فحسب ، ثم فتح الباب للجندى ، ودار بينهما ما دار ..

وعندما أغلق (أدهم) الباب خلف قائد الأمن ، عاد يتحرّك فى سرعة ، وخلع معطف (أورلوف) المنزلى ، ثم راح يخلع زى (بن عازر) العسكرى ، ويلبسه لـ(أورلوف) ، وثبت القناع الذى يحمل وجه (بن عازر) على وجه (أورلوف) ، ثم تحرّك بسرعة ، وارتدى معطف (أورلوف) مرة أخرى ، فى نفس اللحظة التى عاد فيها قائد الأمن ، وهو يصطحب (زياد) ، الذى تظاهر بالجزع ، وصاح :

ـ سيّدى الجنرال .. لقد عاودته النوبة .

كان واثقًا من أن (أدهم) قد أتمّ دوره ، وتبادل الوجوه والمواقع مع (أورلوف) ، وسمعه يقول بصوت (أورلوف) ، على نحو مدهش :

- أنت سائقه الخاص .. أخبرنى ما الذى ينبغى فعله ، فى مثل هذا الموقف ؟.. هل نعمل على استدعاء رجال الإسعاف ؟

هزّ (زياد) رأسه نفيًا ، وقال وهو يخرج من جيبه محقنًا خاصًا :

- كلا يا سيّدى .. لقد اعتدنا هذا .. سأحقنه بهذا الدواء الخاص ، ثم ننقله مباشرة إلى منزله ، وسيفيق بخير بعد ساعتين على الأكثر .

قال (أدهم) فى حزم :

- فليكن .. سأصحبك إلى هناك .

تنحنح قائد الأمن ، وقال :

- سيّدى .. الأوامر تقتضى ..

قاطعه (أدهم) فى صرامة :

- فلتذهب الأوامر إلى الجحيم .. أرسل خلفنا فريقًا من الأمن لو أردت ، ولكننى لن أترك صديقى وحده ، فى مثل هذه الأمور .

قالها واندفع إلى حجرة نوم (أورلوف) ، وارتدى فى لحظات حلته العسكرية الرسمية ، ثم خرج قائلًا :

- هيا بنا .

حمل قائد الأمن جسد (أورلوف) ، بمعاونة (زياد) ، متصوّرًا أنه ينقل الجنرال (بن عازر) الفاقد الوعى ، دون أن يساوره أدنى شك فى شخصية (أدهم) ، الذى تحوّل إلى صورة طبق الأصل من (أورلوف) ، فى دقائق معدودة ، بهيئته وصوته ..

وأمام أعين طاقم الأمن كله ، انطلق (زياد) بسيارته ، وهو يحمل داخلها (أورلوف) الحقيقى فاقد الوعى ، وحوله فريق من رجال الأمن الإسرائيليين ، لحمايته وحراسته ..

لقد تمت هذه المرحلة الحرجة بنجاح ..

نجاح بالغ ..

* * *

اعتدل مدير المخابرات العامة المصرية فى اهتمام بالغ ، وهو يستمع إلى خبير الشفرة ، الذى قال باهتمام أكبر :

- لقد وصلت الرسالة المتفق عليها يا سيّدى .

سأله المدير فى لهفة :

- هل تمت المرحلة المنشودة بنجاح ؟

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال :

- تمامًا يا سيدى .. (أورلوف) الآن فى قبضتنا ، ورجلنا ينتحل شخصيته فى هذه اللحظة بالتحديد .

سأله المدير بلهفة أكثر :

- وهل حصل (ن - ١) على المعلومات المطلوبة ؟

هز الرجل رأسه نفيًا ، وأجاب :

- لا .. ليس بعد .

مط المدير شفتيه ، وغمغم :

- يا للخسارة !

قال خبير الشفرة بابتسامة هادئة :

- أية خسارة يا سيدى ؟!.. لقد حقق رجلنا ما كنت أتصوره معجزة ، وهو الآن ينتحل شخصية مسئول (سيميولاتور) .. أى نصر يفوق هذا ؟

أجابه المدير على الفور :

- أن يحصل منه على المعلومات اللازمة ، لبلوغ موقع الكمبيوتر .. هذه هى بالفعل أدق مراحل العملية كلها ، فإما أن ينجح (أدهم) فى انتزاع تلك المعلومات ، ونربح العملية كلها ، أو يفشل فى هذا ، و ...

وتراجع فى مقعده قليلًا ، قبل أن يضيف :

- ونخسر العملية ، والمعركة .. و (أدهم صبرى) نفسه .

* * *

دار رأس العقيد (أورلوف) طويلًا ، قبل أن يستعيد وعيه ، ويتمتم فى إعياء :

- أين أنا ؟

أتاه صوت هادئ حازم ، يقول :

- لقد وقعت فى الفخ يا (أورلوف) .

سرت قشعريرة باردة فى جسد (أورلوف) ، عندما سمع هذه العبارة ، وانتابه ذعر مبهم ، لم يدر كنهه إلا عندما فتح عينيه ، وتطلع إلى الرجل الواقف أمامه ..

عندئذ فقط تحولت قشعريرته إلى انتفاضة عنيفة ، وأدرك سر ذعره المبهم ..

لقد كان يتطلع إلى نفسه ..

إلى (أدهم صبرى) ، الذى صار نسخة طبق الأصل منه ..

نسخة أثارت رعبه ، وجعلته يهتف :

- من أنت ؟.. وأين أنا ؟

انتبه بعد سؤاله مباشرة إلى (زياد) ، الذى يجلس فى ركن الحجرة مصوبًا إليه مسدسه فى صرامة ، وسمع (أدهم) يقول بصوت أصابه بالذهول ، لاستحالة تفرقته عن صوته هو :

ـ أنت فى قبضتنا يا (أورلوف) ، وأنا الرجل الذى أوقع بك ، والذى ستخبره بكل هدوء ، عن أرقام الكود السرية ، للتعامل مع (سيميولاتور) ، وعن المكان الذى تحتفظون به فيه .

حدّق (أورلوف) فى وجهه لحظة بدهشة بالغة ، ثم حاول الاندفاع نحوه فى غضب ، إلا أنه انتبه ، فى هذه اللحظة فقط إلى كونه مقيدًا بإحكام ، إلى مقعد ثقيل ، منعه من الحركة ، فهتف محنقًا :

ـ لن تحصل منى على حرف واحد .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـ هل تراهن ؟

ثم أخرج من جيبه محقنًا صغيرًا ، وأضاف :

ـ هل تعرف ما يحويه هذا المحقن ؟.. إنه بنتوثال الصوديوم .. أو مصل الحقيقة كما أطلقوا عليه فى السابق .. ما رأيك لو حقنتك بعدة سنتيمترات منه ؟

بدا شىء من الارتياح على وجه (أورلوف) ، وقال :

ـ يمكنك أن تحاول .

ولكن (أدهم) ابتسم مرة أخرى فى سخرية ، وقال :

ـ ولكننى لن أفعل .

قالها وألقى المحقن جانبًا ، فتحطّم على أرضية الحجرة ، وهتف (زياد) :

ـ لماذا تضيع فرصة كهذه ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ لأنهم يحتاطون لهذا جيدًا يا صديقى ، ويدفعون رجالهم إلى تعاطى جرعات منتظمة من عقار مضاد لمصل الحقيقة ، بحيث يفقد المصل تأثيره عليهم ، إذا ما تم حقنهم به فجأة .

ظهرت خيبة الأمل على وجه (أورلوف) ، و (أدهم) يتابع :

ـ ولكن صديقنا (أورلوف) كان سيتظاهر بالعكس تمامًا ، فما إن نحقنه بالمصل ، حتى يمثّل دوره بإتقان ، ويتظاهر بالمقاومة ، ثم بالانهيار ، ويجيب عن كل أسئلتنا فى لهجة نصف نائم ، ويمطرنا بسيل من المعلومات غير الصحيحة ، حتى يوقعنا فى فخ كبير ، لن يلبث أن يطبق علينا ، إذا ما حاولنا الاقتراب من الكمبيوتر .. إنها لعبة طريفة ، ولكنها محفوظة أيضًا .

ثم التفت إلى (أورلوف) ، مضيفًا :

ولكننا سنستخدم وسائل أخرى .

هتف (أورلوف) :

- لن أدلى بحرف واحد .

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

- لا تفعل .. لن يجبرك أحد على هذا .. كل ما سنفعله هو أننا سنضع خلات الأسنان الرفيعة الحادة تحت أظفارك ، ونغرسها لمسافة سنتيمتر واحد ، وبعدها نشعل فيها النيران ، و ...

صرخ (أورلوف) :

- لن تفعل شيئًا من هذا .. إنك تحاول إرهابي فحسب .

مرة أخرى ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

- هل تراهن ؟

قالها وأخرج من جيبه عددًا من خلات الأسنان ، ارتجف لرؤيتها (أورلوف) ، وصاح :

- كيف أحضرتنى إلى هنا ؟.. أين ذهب رجال الأمن ؟

أجابه (أدهم) فى سخرية :

- هناك فريق منهم ينتظر أمام هذا المنزل ، وهم يتصورون أنهم يحرسوننى ، بصفتى أنت ، ولكن لا تجعل هذا يدفع بعض الأمل فى أعماقك ، فهذه الحجرة مجهزة

بحيث لا يسمع أحد منهم صراخك ، عندما نغرس خلات الأسنان تحت أظفارك .

وأمسك واحدة من خلات الأسنان ، واتجه بها نحو (أورلوف) ، الذى صرخ :

- لا .. لا يمكنك أن تفعل هذا بى .

أجابه (أدهم) ساخرًا :

- من قال هذا ؟.. إننى أهوى تعذيب الآخرين ، ولتعلم أن ما سأفعله سيسبب آلامًا رهيبة .. لقد اختبرتها بنفسك ، عندما كنت تستخدمها مع ضحاياك ، من الشباب الفلسطينى ، عندما كنت مسئولًا عن أمن المخيمات .. هل تذكر هذا ؟

استعاد (أورلوف) هذه الذكرى ، وانهارت أعصابه وهو يهتف :

- لا .. لا تفعل بى هذا .

وارتجفت الكلمات على شفتيه ، وهو يضيف بانكسار :

- أرجوك .

وهنا بدا الارتياح على وجه (زياد) ، الذى لم يشك لحظة واحدة فى أن (أدهم) لم يكن ليستخدم هذه الوسيلة البشعة مع (أورلوف) ، مهما كانت الأسباب ، وأنه إنما كان يهدده

فحسب ، وإن كان فى أعماق نفسه قد تمنى لو أن (أدهم) فعلها بحق ، ليذوق (أورلوف) شيئًا مما كبّده لضحاياه ..

وفى هدوء ، قال (أدهم) :

ـ هناك وسيلة بالتأكيد ، لتعفى نفسك من كل هذا .

بدا الانهيار فى صوت (أورلوف) وملامحه ، وهو يقول :

ـ لا يمكننى أن أخبرك .. إنه أمن دولتنا كله .

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

ـ فليكن .. سنعود إلى الطريق الأطول .

وفجأة ، ارتفع عواء ذئب فى الخارج ، فاعتدل (زياد) فى توتر ، وهتف :

ـ هناك خطر .. هذا تحذير .

التقى حاجبا (أدهم) فى قلق ، وغمغم :

ـ ربما ليس ..

ولكنه لم يتمّ عبارته ..

لقد بترها فجأة دوى مدفع آلىّ ، أطاح برتاج الباب ، قبل أن يقتحم عشرة من الجنود الإسرائيليين المكان ، ويصوبون أسلحتهم إلى (أدهم) و(زياد) ، وصاح (أورلوف) :

ـ أخيرًا .. لقد وصلتم أخيرًا .

تردد الجنود ، وهم ينقلون أبصارهم بين (أدهم) و(أورلوف) ، فى حين قال (أدهم) فى صرامة :

ـ نعم .. لقد وصلتم فى الوقت المناسب .. هذا الرجل حاول انتحال شخصيتى ، ولكننى وسائقى نجحنا فى إلقاء القبض عليه ، و ...

قاطعه صوت بارد ، يقول :

ـ لا تحاول .

وفى هدوء ، عبر صاحب الصوت الباب ، ووقف بين الجنود العشرة ، قائلاً :

ـ مرحبًا يا (أدهم) .. يسعدنى أن التقينا مرة ثانية فى دولتى .

وكان هذا الرجل هو (موشى) ..

(موشى دزرائيلى) .

* * *

٥ ـ العمالقة ..

مضت لحظة عجيبة من الصمت ، بدا الموقف خلالها أشبه بصورة جامدة ، قبل أن ترتسم على شفتى (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ـ يا لها من مصادفة طريفة .. ها نحن أولاء نلتقى مرة أخرى يا عزيزى (موشى) .

هزّ (موشى) رأسه فى هدوء بارد كعادته ، وهو يقول :

ـ لا يا (أدهم) .. لا توجد أية مصادفات .. كل شىء كان محسوبًا بدقة بالغة .

نزع (أدهم) عن وجهه قناع (أورلوف) فى هدوء ، وهو يقول ساخرًا :

ـ حقًا ؟!

أجابه (موشى) :

ـ نعم يا رجل .. إننى لم أصدق لحظة واحدة قصة مصرعك هذه ، فمن غير المنطقى أن يهرع (أدهم صبرى) ، أستاذ القتال والمطاردات ، إلى كوخ خشبى مغلق ، ليحتمى به من هجمة هليكوبتر شرسة .. لو أننى فى موضعك لما فعلت هذا قط ، ونحن كما سبق أن أخبرتك ،

نفكر على موجة واحدة .. ولهذا ألقيت على نفسى السؤال .. لماذا فعل (أدهم صبرى) هذا ؟ .. لماذا لجأ لتلك الخطة المعقدة .

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال فى تهكم :

ـ يا للعبقرية !

أجاب (موشى) ببرود :

ـ لا دخل للعبقرية فى هذا .. إنه (سيميولاتور) .

جذب الجواب اهتمام وانتباه (أدهم) بالفعل ، فلاذ بالصمت التام ، واستمع إلى (موشى) ، وهو يتابع :

ـ عندما حيرنى الأمر وأربكنى ، توجهت مباشرة إلى (سيميولاتور) ، وهناك طرحت عليه الأمر برمته ، وأعطيته كل التفاصيل والصور والوثائق ، منذ قامت (سونيا) بزيارة سفارتنا فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وحتى لحظة مصرعك المزعومة ، ثم جلست أشاهد فى استمتاع تلك الصور المتماثلة ، التى عرضها (سيميولاتور) على شاشته الفضية الأنيقة .. هل تدرى ما سيناريو الفيلم الممتع الذى شاهدته ؟

صمت لحظة ، وكأنه ينتظر جوابًا من (أدهم) ، إلا أن

(أدهم) ظل صامتًا ، يستمع إليه فى اهتمام ، فتابع فى شىء من الزهو :

- سيل من الحقائق والمعلومات والأحداث المدهشة ، التى تبدأ بفقدانك ذاكرتك فى المكسيك ، ولقائك هناك بـ(سونيا جراهام) ، التى وقعت فى حبك ، واستغلت فقدانك الذاكرة لتتزوجك ، وتبدأ معك حياة جديدة ، فى مكان آخر ، يبعد عن وطنك ووطنها .. ثم استعدت أنت ذاكرتك ونبذتها ، أو تركتها من أجل زميلتك القديمة (منى توفيق) ، مما أثار غضبها وغيظها ، وجعلها تعود لتحتل منك موضع العدو القديم .

وعلى الرغم من ملامح (أدهم) الهادئة الجامدة ، كانت أعماقه تفور بالدهشة ، من هذه المعلومات الصادقة ، التى توصّل إليها (سيميولاتور) ، بتحليله للأحداث والمعلومات ، التى غذّاه بها (موشى) ..

لقد أدرك مدى خطورة هذا الكمبيوتر الجديد ..

وأدرك حتمية تدميره ، والقضاء عليه ..

أما (موشى) ، فقد تابع متفاخرًا :

- ولكن دعنا من هذه الأحداث القديمة ، ودعنا نتحدث مباشرة عن قضيتنا .. لقد اتفق معى (سيميولاتور) فى أنك

لم تلق مصرعك ، وافترض أنك قد اخترت هذا الموقع بالذات لأسباب خاصة ، وحصر هذه الأسباب فى أنك تنوى انتحال شخصية أخرى ، تسهل لك مهمة الوصول إلى هدفك .. ولقد فحص (سيميولاتور) ملفات كل سكان المنطقة ، حتى انتقى من بينهم شخصية واحدة .. الجنرال (بن عازر) .. كانت ظروفه مثالية ؛ لإقامته المنفردة ، وعدم أهميته الفائقة بالنسبة لأمن الجيش .. وعلى الفور ، كلفت أنا فريقًا من رجالى بمراقبة منزلَى (بن عازر) و (أورلوف) ، بعد أن تنبأ (سيميولاتور) بمحاولتك لانتحال شخصية (أورلوف) .. ورأيت ما فعلته بطاقم الأمن ، وكيف خدعتهم ، ودفعتهم كالأغبياء لمعاونتك على اختطاف الرجل ، الذى يقومون بحراسته وحمايته ، وكان من الممكن أن ألقى القبض عليك لحظتها .

سأله (أدهم) فى برود :

- ولماذا لم تفعل ؟

صمت (موشى) لحظات ، ثم أجاب :

- أردت رؤيتك وأنت تعمل ، كما قرّرت الانقضاض عليك فى اللحظة التى أراها مناسبة .

وصمت لحظة أخرى ، قبل أن يضيف :



ثم التقط منفضة سجائر ، مستطردًا :

ــ هل ترى هذه ؟ .. بوساطتها يهزمك شعبى .

ــ أنت تعلم أننا عملاقان فى عالمنا يا (أدهم) ، ومن الممتع للعمالقة أن يراقب بعضها البعض .. أليس كذلك ؟

اندفع (زياد) فجأة ، قائلًا :

ــ نسيت عملاقًا ثالثًا أيها الإسرائيلى .

سأله (موشى) فى شىء من السخرية :

ــ من هو أيها العربى ؟

اعتدل (زياد) فى حزم ، وهو يجيب :

ــ شعبى .

شعر (أدهم) بالإعجاب تجاه الفتى الفلسطينى ، على عكس (موشى) ، الذى قال فى شىء من السخرية :

ــ شعبك ؟!.. وما الذى يستطيع شعبك أن يفعله ؟

أجابه (زياد) :

ــ الكثير أيها الإسرائيلى .

ثم التقط منفضة سجائر ، مستطردًا :

ــ هل ترى هذه ؟.. بوساطتها يهزمك شعبى .

وألقاها نحو النافذة ، مضيفًا :

ــ هكذا .

حطمت المنفضة زجاج النافذة ، واخترقته بدوى

مكتوم ، وتحرك الجنود المحيطون بـ(موشى) فى تحفز ، ولكن هذا الأخير أشار إليهم بالصمت ، وهو يقول :

ـ وما المفروض أن يفعله هذا ؟

ابتسم (زياد) ، وقال :

ـ يعطى إشارة البدء .

ومع آخر حروف كلماته ، بدأ هجوم العملاق الثالث .. العملاق الفلسطينى ..

★ ★ ★

شاهد فريق الأمن ، المحيط بمنزل (بن عازر) ، منفضة السجائر ، وهى تخترق زجاج النافذة ، فتحفزت أصابع الجميع على أزندة مدافعهم الآلية ، وهتف قائد الفريق فى توتر :

ـ ما هذا بالضبط ؟

أجابه أحد جنوده :

ـ إننا لم نسمع إطلاق نيران مصاحبًا لهذا .. ربما أحدهم يقاوم مقاومة بسيطة .

ردد قائد فريق الأمن ، فى شك وحذر :

ـ ربما .

لم يكد يتم عبارته ، حتى انهال على فريق الأمن فجأة سيل من الأحجار ..

أحجار أتت من كل مكان ، وكأنما تمطرها السماء ، فتصيب رءوس وأجساد قوة الأمن ، التى تحاصر المنزل ، وصرخ قائد فريق الأمن :

ـ دافعوا عن أنفسكم .. أطلقوا النيران .

ولكن فجأة رددت المنطقة كلها صيحة رهيبة ..

صيحة فرقة ضخمة من الفلسطينيين ، انقضت من كل صوب على الإسرائيليين ..

وانهالت الرصاصات كالمطر ، وراحت تحصد المحتلين حصدًا ..

وداخل المنزل هتف أحد الجنود فى غضب :

ـ أنت فعلت هذا أيها العربى .

وصوب مدفعه إلى (زياد) ، وأطلق نيرانه ..

ولكن (أدهم) تحرك فى سرعة مدهشة ، فانحنى متفاديًا النيران ، ودفع (زياد) جانبًا ، ثم وثب معه خلف مقعد (أورلوف) ، الذى صرخ فى ذعر هائل :

ـ لا .. لا تطلقوا النيران .

وفى نفس اللحظة ، انقض الفلسطينيون ، الذين كانوا يختبئون على سطح المنزل ..

وكانت انقضاضة مباغتة بالفعل ..

واشتبك الإسرائيليون مع الفلسطينيين فى قتال مروّع ، فى حين صاح (زياد) :

ـ اهرب يا سيّد (أدهم) .. أنت الأمل الوحيد .

ولكن (موشى) صاح فى صرامة :

ـ ومن سيسمح له بالهرب ؟

قالها وهو يرفع مسدسه ، ويصوّبه إلى (أدهم) ، إلا أن هذا الأخير تحرّك بسرعته المدهشة ، وركل المسدس من يد (موشى) ، قائلًا فى سخرية :

ـ أتظننى أنتظر تصريحًا .

ترك (موشى) المسدس يسقط ، وانقضّ على (أدهم) ، ليكيل له لكمة قوية ، وهو يقول :

ـ التصريح الوحيد الذى ستحصل عليه ، هو تصريح الدفن .

تفادى (أدهم) الضربة ، ولكم (موشى) فى معدته ، قائلًا :

ـ كم أشكرك يا عزيزى ، ولكننى لا أنوى الحصول على مثل هذا التصريح قريبًا .

وكان المشهد مدهشًا ومبهرًا ، بالنسبة لـ(زياد) ، الذى راح يتابعه بأنفاس مبهورة ، وعيون زائغة ..

القتال محتدم بين الجنود الإسرائيليين ، ورجال المقاومة الفلسطينية ، والنيران تتطاير فى كل مكان ، و (أورلوف) يطلق صرخات رعب هائلة ، فى حين يتجاهل (أدهم) و (موشى) كل هذا ، ويشتبكان فى قتال يدوى رهيب ، يبرز قوة كل منهما ، وبراعته الفائقة فى هذه الصراعات الفردية ..

وكان من الواضح أن (أدهم) أستاذ فى هذا المجال ..

أستاذ لا يشق له غبار ..

لقد وثب (موشى) نحوه ، فى حركة بالغة المهارة والمرونة ، ليركله فى صدره ركلة قوية ، تكفى لتحطيم ضلوعه ، إلا أن (أدهم) مال إلى الخلف ميلًا مذهلًا ، وكأنه قطعة من المطاط المرن ، وترك (موشى) يتجاوزه بقفزته ، ثم دفع قدميه إلى أعلى ، وركل خصمه فى معدته ، وبعدها وثب واقفًا على قدميه ، وقفز نحو الجدار ، فدفعه بقدمه فى قوة ، واستغل اندفاع جسده ، ليدور حول نفسه دورة بدت لـ(زياد) مستحيلة ، ويركل (موشى) فى صدره وفكه ، ركلتين عنيفتين متتابعتين ، ثم يستقر على قدميه أرضًا ..

وانبعثت أصوات الأبواق من بعيد ..

كان من الواضح أن الإسرائيليين قد أرسلوا دعمًا قويًا لرجالهم ..

وهتف (زياد) :

ـ اهرب يا سيِّد (أدهم) .. اهرب وإلا خسرنا كل شىء .

وكان (أدهم) يدرك أنه على حق ..

صحيح أنه يبغض الهروب ، ويكره الفرار من وسط المعركة ، ولكن فى كثير من الأحوال يكون الانسحاب هو أفضل خطوة ، فى سبيل النصر ..

لقد أدرك الآن ، أكثر من ذى قبل ، مدى خطورة مهمته ، وضرورة أن يبذل قصارى جهده لإتمامها ، والفوز فيها ، من أجل وطنه ..

من أجل (مصر) ..

ولهذا السبب وحده ، هتف (أدهم) ساخرًا :

ـ معذرة يا عزيزى (موشى) .. صحيح أننى أستمتع بتلقينك الدرس تلو الآخر ، إلا أننى مضطر الآن للانصراف .. إلى لقاء آخر .

قالها ووثب عبر النافذة المحطمة ، من الطابق الثانى للمنزل ..

ولم يتردد (موشى) لحظة واحدة ..

لقد هبَّ واقفًا على قدميه ، واندفع بدوره نحو النافذة ، إلا أن (زياد) اعترض طريقه بمسدسه ، صائحًا :

ـ لن تلحق به .

ولكن (موشى) انحنى بسرعة ، وتفادى رصاصة (زياد) ، ثم لكمه فى معدته بمنتهى القسوة ، صارخًا :

ـ ابتعد .

وأعقب لكمته بأخرى فى فكه ، مستطردًا :

ـ لن تحول بينى وبينه .

سقط (زياد) إثر اللكمتين ، فى حين وثب (موشى) عبر النافذة ، وهوى جسده من الطابق الثانى ، ليستقر على قدميه فى حديقة المنزل ، ورأى (أدهم) أمامه ، يلكم جنديًا إسرائيليًا ، ويحطِّم فك الثانى ، ثم يثب داخل سيارة من سيارات فريق الأمن ، وينطلق بها مبتعدًا ، فاندفع (موشى) إلى سيارة أخرى ، وانطلق بها خلفه ..

ووصلت الإمدادات الإسرائيلية ، وانسحب معظم الفلسطينيين ، ووقع الباقون فى الأسر ، فى نفس الوقت الذى دارت فيه مطاردة عنيفة ..

مطاردة العمالقة ..

كان كلاهما (أدهم) و (موشى) ، شديد البراعة فى قيادة

السيارات ، مما جعل المطاردة قوية وعنيفة ، يشيب لهولها الولدان ، فى قلب (تل أبيب) ..

لقد عبرا (شوارع) المدينة ، واتجها على نحو مباشر إلى الميناء ، وكلاهما يطلق لسيارته العنان ، وغمغم (موشى) فى سيارته :

ـ من الواضح أنه يحفظ شوارع (تل أبيب) عن ظهر قلب ، كما لو كان واحدًا من أهلها .. إنه يتجه مباشرة نحو رصيف الميناء التجارى .

حاول أن يزيد من سرعة سيارته ، إلا أنه كان ينطلق بسرعتها القصوى بالفعل ، ورأى (أدهم) أمامه يتجاوز واحدة من سيارات النقل فى براعة منقطعة النظير ، فانحرف بدوره ، وتجاوزها ببراعة مماثلة ، ثم التقط مسماع جهاز اللاسلكى ، وقال بالعبرية .

ـ الهدف يتجه إلى الميناء .. اغلقوا الأبواب ، وأقيموا بعض الحواجز والمتاريس .

لم يكد يتم عبارته ، حتى أتاه صوت (أدهم) الساخر ، عبر جهاز اللاسلكى ، وهو يقول :

ـ أشكرك يا صديقى .. جميل منك أن أنذرتنى ..

عقد (موشى) حاجبيه ، وتمتم فى ضيق :

ـ اللعنة !.. لقد استقبل النداء بلاسلكى سيارته .

وعلى الرغم من استقباله للنداء ، ظلّ (أدهم) يتخذ طريقه نحو الميناء التجارى ، دون أن يحيد عنه لحظة واحدة ، حتى بدت أمامه المتاريس ، التى أقامها رجال الأمن ، وصرخ (موشى) ، عبر جهاز اللاسلكى :

ـ أطلقوا النار .

أتاه صوت (أدهم) بنفس السخرية :

ـ أشكرك على هذا الشعور الودود يا رجل .

وفجأة انحرف (أدهم) بسيارته ، وانطلقت رصاصات رجال الأمن ، التى أصابت سيارة (موشى) ، فصرخ :

ـ ليس أنا أيها الأغبياء .. إنكم تطلقون النيران علىّ مباشرة .

أوقف فريق الأمن سيل الرصاصات لحظة ، إثر صرخة (موشى) ، وعندئذ عاد (أدهم) إلى مساره الأوّل فى سرعة البرق ، وانقضّ على المتاريس ، فهتف (موشى) :

ـ يا للشيطان !

ومع هتافه ، ارتطمت سيارة (أدهم) بالمتاريس ، ووثبت كطائر عملاق ، واندفع رجال الأمن بعيدًا عنها ، فى

اضطراب شديد ، قبل أن تهبط على الأرض ، وتثب مرة أخرى ، ثم تندفع نحو رصيف الميناء بكل سرعتها ..

وبدون تردد ، ارتطم (موشى) ببقايا المتاريس بدوره ، ووثبت سيارته أيضا ، ثم هبطت خلف سيارة (أدهم) ، وضغط (موشى) فراملها فى مهارة ، فدارت حول نفسها نصف دورة ، وتوقفت على قيد متر واحد من حافة رصيف الميناء ، فى حين قفزت سيارة (أدهم) بكل سرعتها فى الهواء ، نحو مياه البحر الأبيض المتوسط ، وهوت إلى البحر ..

وأمام أعين الجميع ، ارتطمت السيارة بسطح الماء ، وغاصت فيه بسرعة ، وبداخلها (أدهم) ، فى حين غادر (موشى) سيارته ، واندفع نحو رصيف الميناء ، وخلفه أحد رجال الأمن يهتف :

ـ لقد غرق .

صاح به (موشى) :

ـ مثله لا يغرق بسهولة .

قالها وخلع سترته ، ثم وثب إلى الماء ، وغاص فيه خلف سيارة (أدهم) ..

وفى الأعماق ، التقى الخصمان ..

(أدهم) و (موشى) ..

كان (أدهم) يغادر السيارة ، عندما هاجمه (موشى) ، فاستقبله (أدهم) بمناورة بارعة ، ودار حوله فى مهارة ومرونة ، ثم أمسك جانب عنقه ، وضغط وريده العنقى بخبرة وحنكة ..

وهنا شعر (موشى) بالدوار ..

لم يكن (أدهم) قد لكمه أو ركله ، ولكنه شعر برأسه يدور ؛ لأن (أدهم) استخدم خبرته ، وأغلق مسار الدم القادم من القلب إلى المخ ، عبر الضغط برفق على الوريدين العنقيين ، على جانبى العنق ..

وعجز (موشى) عن القتال والمقاومة ، وتصوّر أنه هالك لا محالة ، إلا أنه فوجئ بـ (أدهم) يدفعه إلى أعلى ، ويصعد معه ، حتى شعر بالهواء النقى ، وسمع رجال الأمن يهتفون :

ـ هذا رجلنا .. أسرعوا لإنقاذه .

لم يدر لماذا أنقذ (أدهم) حياته ، ولكنه لم يكن يستطيع مواصلة القتال ، وشعر بـ (أدهم) يفلت ، ويعود للغوص فى الأعماق ، فردد :

فاستقبله (أدهم) بمناورة بارعة ، ودار حوله في مهارة ومرونة ، ثم أمسك جانب عنقه ، وضغط وريده العنقي بخبرة وحنكة ..

ـ الحقوا به .. إنه يفرّ .

أسرع أربعة من رجال الضفادع البشرية إلى الميناء ، وانتشلوا (موشى) ، ثم وثبوا خلف (أدهم) ، واختفوا تحت الماء لعشر دقائق ، ثم صعدوا والحيرة تملأ وجوههم وملامحهم ..

لقد اختفى (أدهم) في أعماق البحر .. اختفى تمامًا .

* * *



٦- الخطـة ..

لم تكن عقارب الساعة قد تجاوزت السابعة صباحًا ، عندما استيقظ (ليودايان) ، رجل المخابرات الإسرائيلى من نومه ، على رنين جرس الباب ، فتطلّع فى سخط إلى الساعة المجاورة لفراشه ، وأطلق سبابًا وقحًا ، قبل أن ينهض ، ويرتدى معطفه المنزلى ، ثم يفتح الباب ، قائلًا فى لهجة عدوانية :

- ماذا هناك ؟

طالعه وجه (تونى بورساليتو) ، الذى بدا شاحبًا مرهقًا متوترًا ، وهو يقول :

- السيّد (ليودايان) .

التقى حاجبا (ليو) الكثان ، وهو يتأمله فى شىء من التساؤل والشك ، قبل أن يقول فى غلظة :

- ماذا تريد ؟

ازدرد (تونى) لعابه فى توتر ، وقال :

- أريد مقابلة (ليودايان) شخصيًا .

سأله (ليو) فى غلظة أكثر :

- وماذا تريد منه ؟

أجاب (تونى) ، فى شىء من الحدة :

- لدى رسالة شخصية له ، من الليدى (إكس) .

برقت عينا (ليو) فجأة ، وأطلقت منهما لهفة شديدة ، وهو يهتف :

- (إكس) ؟!

ثم أفسح الطريق أمام (تونى) ، مستطردًا :

- ادخل يا رجل .. ادخل بسرعة .

شعر (تونى) بدهشة بالغة ، لهذا التبدُّل الشديد فى المشاعر ، إلا أنه دلف إلى الشقة بسرعة ، وترك (ليو) يغلق الباب خلفه ، قبل أن يسأله فى لهفة أكثر :

- كيف هى ؟.. أين تحيا الآن ؟.. أى اسم تحمله ؟

أدرك (تونى) على الفور أن (ليو) هذا غارق حتى أذنيه ، فى حب سيّدته (جوان آرثر) ، أو (سونيا جراهام) كما يجهل ، وشعر فى أعماقه بشىء من الغيرة ، جعله يجيب فى جفاء واضح :

- لست مخوّلًا للإجابة عن أية أسئلة .. الأوامر لدى تقتصر على زيارتك ، ومقابلتك شخصيًا ، فور وصول طائرتى إلى (تل أبيب) ، وفى أية ساعة كانت ، وتسليمك رسالة مسجّلة ، وحقيبة مغلقة ، وبعدها أنتظر ردك ، وأسافر مباشرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

سأله (ليو) فى لهفة :

- أهى هناك ؟.. أتقيم هناك ، فى (أمريكا) ؟

لم يجب (تونى) ، وإنما ناوله شريط التسجيل والحقيبة ، قائلاً :

- هذا ما ينبغى أن أعطيك إياه .

اختطفهما (ليو) فى شغف ، وبدا وكأنه سيحتضن شريط التسجيل فى هيام ، على الرغم من أنه قال لـ(تونى) فى غلظة شديدة :

- انتظر هنا .

واندفع إلى حجرته ، وأغلق بابها خلفه فى إحكام ، ثم دسّ الشريط فى جهاز التسجيل ، وهو يغمغم :

- واجميلتى (سونيا) .. كم أشتاق إليك .

والتصق بالجهاز وهو يديره ، وارتجف جسده فى شوق وهيام ، عندما انبعث منه صوت (سونيا) ناعمًا دافئًا ، وهى تقول :

- كيف حالك يا (ليو) ؟.. كم أشتاق إليك يا حبيب الصبا والشباب ..

كان يدرك تمامًا كم هى مخادعة ، إلا أن قلبه الملهوف جعله يتمتم :

- وأنا أيضًا يا حبيبتى .

تابع الشريط المسجّل بنفس الصوت الناعم :

- إننا لم ير بعضنا البعض منذ فترة طويلة للغاية يا (ليو) ، ولكن هذا لا يعنى أن مشاعر كل منا تجاه الآخر قد فترت أو ذبلت ، بل ما تزال متأججه فى أعماقى ، يلتهب بها قلبى .. ولكن دعنا من هذا ، فهذه الرسالة التى تستمع إليها ليست رسالة حب أو غرام .. إنها رسالة عمل .. عمل كنا نحلم به فيما مضى ، ونحسب كم من الملايين يمكن أن نربحها منه ..

انتبهت مشاعره كلها ، عند هذه النقطة ، وغلبت شهوة المال عاطفة الحب ، فهتف فى لهفة عجيبة هذه المرة :

- نعم .. أتذكر حلمنا هذا يا (سونيا) .. أتذكره .

واستمع فى انتباه كامل إلى الشريط ، وهو يستطرد :

- الآن أصبحت أنا قادرة على تحويل هذا الحلم إلى حقيقة .. منظمة الجاسوسية الخاصة .. نعم يا عزيزى (ليو) .. أنا الآن بصدد إنشاء واحدة من أقوى منظمات الجاسوسية الخاصة القادرة على تحدى أجهزة مخابرات الدول العظمى .. إننى أمتلك المال ، والتكنولوجيا ، والعقل المفكّر .. كل ما يكفى لإنشاء المنظمة يا (ليو) ، ولا ينقصنى الآن سوى الرجال .. الخبراء فى هذا المجال .. وباختصار .. ينقصنى أنت يا (ليو) .

هتف فى حماس :

ـ وأنا رهن إشارتك يا (سونيا) .

تابع الشريط ، وحماس صوت (سونيا) يتصاعد أيضًا :

ـ ومن حسن حظنا أن العالم يتجه الآن اتجاهًا جديدًا ، ومعظم خصومنا انتهى أمرهم .. (سكوربيون) تحطمت تقريبًا[*] .. (المافيا) تسعى لغسل أموالها القذرة ، بعد أن عجزت دونا (كارولينا) عن إدارة شبكة إجرامية هائلة[**] .. الـ(كى.جى.بى) انهار مع انهيار الإمبراطورية السوفيتية[***] .. إنها فرصتنا يا (ليو) .. فرصتنا التى حلمنا بها سنوات وسنوات .. لقد حانت أخيرًا لحظة التنفيذ ، فهل أنت مستعد يا (ليو) ؟ .. هل أنت مستعد ، لتصبح رجل المنظمة السرى فى قلب (الموساد) ؟

(*) راجع قصة (جزيرة الجحيم) ، المغامرة رقم (٨٤) .

(**) غسيل الأموال القذرة : مصطلح يستخدم للتعبير عن محاولة بعض المجرمين ، لاستخدام الأموال التى ربحوها من الجريمة ، فى إدارة مشروعات نظيفة وشريفة ، بحيث لا تحيط بأرباحهم الشبهات .

(***) مع تفكك الاتحاد السوفيتى رسميًا ، فى أوائل التسعينات ، أعلنت (أمريكا) أن جهاز المخابرات السوفيتى (كى.جى.بى) ، لم يعد له وجود فعلى مؤثر على الساحة .

صمت الشريط المسجل لحظات ، وكأنما تمنحه (سونيا) فرصة للتفكير ، فعقد حاجبيه فى شدة ، وغمغم :

ـ الواقع أن هذا يحتاج إلى الكثير من التفكير .

أدهشه أن تابع الشريط ، وكأنه يجيب عبارته :

ـ قبل أن تبدأ فى التفكير ، افتح الحقيبة ، وانظر ما بها .

التقط الحقيبة ، وفتحها ، وبرقت عيناه فى شدة ، مع رؤية رزم النقود داخلها ، وتطلع فى تساؤل إلى علبة صغيرة من القطيفة ، قبل أن يتابع صوت (سونيا) :

ـ فى الحقيبة ستجد ربع مليون دولار .. هو مبلغ بسيط ، تحت حساب العمل والتكاليف ، وستحصل عند موافقتك على مائة ألف دولار شهريًا ، يوضع نصفها فى حساب سرى باسمك ، فى أحد بنوك سويسرا ، فى حين يصلك النصف الثانى يدًا بيد ، وفى سرية تامة .. أما العلبة الصغيرة ، التى تراها أمامك ، فهى علبة خالية الآن ، ولكن فى حالة موافقتك ، ستحوى أحدث أجهزة التصنت ، فى العالم أجمع .. والآن يا (ليو) احسم أمرك على الفور .. هل توافق على العمل لحسابى ، فى هذه المنظمة الجديدة ، أم لا ؟ .. وفى حالة الموافقة ، سيكون عليك أن تستمع إلى ما سأمليه عليك من تعليمات .. وفى كل الأحوال سيدمر هذا الشريط نفسه تلقائيًا ، بعد أربع دقائق من الآن .. هه يا (ليو) ..

احسم أمرك بسرعة .. هل توافق أم لا ؟..

لم يستمع (تونى) إلى حرف واحد من كل هذا ، وهو يجلس متوترًا ، فى ردهة شقة (ليو) ، ثم لم يلبث أن اعتدل ، عندما رأى (ليو) يغادر الحجرة ، وعلى وجهه تعبير مبهم ، وانفعال عجيب ، ورآه يقترب منه ، ثم يمدّ يده إليه ، ويقول :

ـ أعطنى ما لديك .

دسّ (تونى) يده فى جيبه ، وأخرج كيسًا صغيرًا ، يحوى جهاز التصنت الجديد ، فالتقطه منه (ليو) ، وتطلّع إليه لحظة ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ أخبرها أننى قد حصلت على الجهاز والحقيبة .. وأن كل شىء سيتم كما أرادت بالضبط .

وبرقت عيناه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ كل شىء .

وشعر (تونى) بالخوف ..

بالكثير من الخوف ..

* * *

ازدحم رصيف الميناء التجارى ، فى (تل أبيب) ،

بالعمال والموظفين ، وعدد من أصحاب الأعمال ، وهم يتطلعون فى تساؤل وفضول إلى رجال الأمن ، الذين يعملون على انتشال سيارة (أدهم) من الأعماق ، وبدا الضيق على وجه (موشى دزرائيلى) ، الذى جفت حلته تقريبًا ، دون أن يفارق المكان ، منذ اختفاء (أدهم) فى الليلة السابقة ، فصاح فى رجال الأمن :

ـ أبعدوا هؤلاء الفضوليين .. ليس هذا سيركًا أو استعراضًا هزليًا .. دعونا نعمل فى هدوء .

أجابه رجل الأمن :

ـ إننا نحاول قصارى جهدنا يا سيّدى .. ولكن الفضول يجذبهم إلى هنا ، فما حدث ليس بالأمر الطبيعى .

قال فى ضيق :

ـ وليس بالمعجزة أيضًا .. مجرّد شخص اقتحم الميناء التجارى ، ووثب بسيارته إلى البحر .

تطلّع إليه رجل الأمن فى دهشة ، وقال :

ـ أيبدو لك هذا أمرًا عاديًا ؟

قال فى برود :

ـ أنا أستطيع أن أفعل ما هو أفضل .

ارتسمت ابتسامة ماكرة على شفتى رجل الأمن ، وهو يقول :

- آه .. فهمت .

التفت إليه (موشى) فى برود ، وقال :

- ما الذى فهمته أيها العبقرى ؟

لوّح الرجل بيده ، قائلاً :

- لا شىء .. لم أقصد شيئاً .

وعاد يتطلّع لحظات إلى البحر ، قبل أن يتابع :

- ولكن أين ذهب ذلك الرجل ؟.. إنه لم يصعد أبداً إلى سطح البحر ، بامتداد الميناء كله ، ولا يمكنه البقاء حيًا تحت الماء ، دون هواء كاف ، لفترة تزيد على أربع أو خمس دقائق ، وهذا رقم عالمى ، ولم يعثر رجال الضفادع البشرية على جثته ، فأين ذهب ؟

تمتم (موشى) :

- هذا ما أحاول معرفته .

وكان هذا يشغل عقله بالفعل ، منذ مساء أمس ..

أين ذهب (أدهم صبرى) ؟..

كيف بقى تحت الماء لأكثر من نصف الساعة ، دون هواء ؟..

وقطع أفكاره صياح رجال فريق الإنقاذ :

- ها هى ذى .

أدار وجهه بسرعة إلى حيث يشيرون ، وعلى الرغم من ملامحه الباردة ، خفق قلبه فى عنف ، وهو يتطلّع إلى ونش الإنقاذ ، وتحرّك فى خطوات سريعة نحو السيارة ، التى ينتشلها الونش من الأعماق ، وأشار إلى رجال الإنقاذ ، قائلاً :

- أنزلوها هنا .. أريد أن أفحصها أوّلاً .

اعترض رجل الأمن :

- ولكن هذه مهمة الـ ....

قاطعه (موشى) فى صرامة :

- سأفحصها أوّلاً .

أطبق رجل الأمن شفتيه فى تبرم ، فى حين راح (موشى) يفحص السيارة فى اهتمام بالغ ، ثم سأل أحد الرجال :

- أين الإطار الإضافى ؟

قال الرجل :

- أتقصد الإطار الاحتياطى ؟!.. لم نعثر عليه .. ربما فُقِدَ فى أثناء السقوط ، أو لم يكن هناك منذ البداية .

عقد (موشى) حاجبيه لحظات ، ثم تمتم :

- فهمت .

سأله رجل الأمن فى اهتمام :

- ما الذى فهمته ؟

أجابه (موشى) فى برود :

- لا شأن لك بهذا .

ثم استدار ، وغادر المكان بسرعة ، ووثب داخل سيارته ، فهتف به رجل الأمن :

- هل انتهيت من فحصها ؟

لم يجب (موشى) ، وإنما انطلق بالسيارة فى صمت وسرعة ، متجهًا إلى مقر (الموساد) ..

وكان تفكيره كله يدور حول (أدهم) ، وشعوره نحوه يتأرجح ما بين الغضب ، والضيق ، والغيظ ، والغيرة .. والاحترام ..

(أدهم) وحده يؤكد له أنه ليس أقوى رجل مخابرات فى العالم ..

(أدهم) وحده يبهره بذكائه وقوته وخبرته وحنكته ..

(أدهم) وحده يورثه شعورًا بالضعف ..

لم تتوقف أفكاره حول (أدهم صبرى) ، حتى وصل إلى مبنى المخابرات ، وهبط إلى قبوه ، وسأل أحد رجاله فى صرامة :

- هل استجوبتم الفتى ؟

هزّ الرجل رأسه فى تبرم ، وأجاب :

- ليس بعد .. إنه صلب المراس ، مثل بنى قومه .

قال (موشى) فى حدة :

- أو أنكم أنتم لينو العريكة .

هتف الرجل فى استنكار :

- نحن ؟! .. لقد أوسعناه ضربًا وركلا ، وحطمنا أنفه وأسنانه ، ونزعنا اثنين من أظفاره ، ولكن هذا الفتى اللعين يبدو كما لو أنه قد ابتلع لسانه ، فهو لم ينطق بحرف واحد ، بعد كل هذا .. ماذا نفعل أكثر من هذا ؟! .. هل نبتر أطرافه ؟

مطّ (موشى) شفتيه ، وقال :

- كلا .. اتركه لى .

ودفع باب القبو ، ودلف إلى حيث يجلس (زياد) ، فى حالة يرثى لها ، بأنف محطم ، وأسنان مكسورة ، والدماء تسيل من أطراف أصابعه ، ومن أنفه وفمه ، وقد قيّده رجال (الموساد) إلى مقعد معدنى ، يتصل بأسلاك كهربية ، وقد استعد أحد الرجال لصعقه بالكهرباء ، وأشار (موشى) إلى الرجل ، فنهض من مكانه ، وغادر القبو ، وأغلقه خلفه ، فتطلع (موشى) إلى (زياد) ، وقال ببروده المعهود :

- إلى متى تنوى المقاومة ؟

تطلّع إليه (زياد) بعينين متورمتين ، دون أن يجيب ، ويبدو أن (موشى) لم يكن ينتظر فى الواقع جوابًا ، فقد تابع على الفور :

- لم تعد هناك فائدة من المقاومة .. لقد ألقينا القبض بالفعل ، على الرجل الذى تبذل كل هذا لحمايته .. ألقينا القبض على (أدهم صبرى) .

وعلى الرغم من شفتيه الداميتين ، رسم (زياد) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول بصوت أجش واهن :

- حقًا ؟!

قال (موشى) بسرعة :

- لماذا لا تصدق هذا ؟.. هل كانت هناك خطة بديلة لفراره ؟

أشاح (زياد) بوجهه ، دون أن يجيب ، فتابع (موشى) :

- من الواضح أن (أدهم) هذا يعد دائمًا العديد من الخطط والبدائل ، لإنقاذه وتأمين فراره فى كل الأحوال ، دون أن يبالى بمن يتركهم خلفه مثلك .. ألم تنتبه إلى هذا ؟

غمغم (زياد) :

- كل شىء يهون ، فى سبيل القضية .

لوّح (موشى) بيده ، قائلًا :

- أية قضية ؟.. إنها قضيته وحده .. قضية (أدهم صبرى) .. القضية التى يضحى فيها بكم جميعًا .

قال (زياد) فى خفوت ساخر :

- ربما ينطبق هذا عليكم ، ولكنه لا ينطبق علينا .. إننا نقاتل جميعًا فى سبيل قضية واحدة .

رمقه (موشى) بنظرة صارمة طويلة ، ثم اتجه إلى جهاز الصعق الكهربى ، وهو يقول :

- فلنر إذن كم ستبذل فى سبيل القضية .

وضغط أحد أزرار الجهاز ، فسرى تيار كهربى عنيف فى جسد (زياد) ، الذى انتفض فى قوة ، وهو يطلق صرخة ألم هائلة ، قبل أن يوقف (موشى) التيار ، ويسأله فى قسوة :

- أين (أدهم صبرى) ؟

صاح (زياد) :

- اذهب إلى الجحيم .

ضغط (موشى) الزر مرة أخرى ، ولفترة أطول ، وراح (زياد) ينتفض طويلًا ، حتى رفع (موشى) يده عن الزر ، وانهار الفتى تمامًا ، و (موشى) يكرّر سؤاله :

- أين ذهب (أدهم) ؟



التقى حاجبا (موشى) ، وضغط الزر مرة ثالثة ، وترك (زياد) يصرخ وينتفض لفترة طويلة للغاية قبل أن ينهار فاقدا الوعى ..

تمتم (زياد) :

ـ لست أدرى أين ذهب هو ، ولكننى أعلم إلى أين ستذهب أنت .

واستطرد بصرخة مفاجئة :

ـ ستذهب إلى الجحيم .

التقى حاجبا (موشى) ، وضغط الزر مرة ثالثة ، وترك (زياد) يصرخ وينتفض لفترة طويلة للغاية ، قبل أن ينهار فاقدا الوعى ، وقال فى غضب :

ـ سأحسن الاستفادة منك يا فتى ، حتى ولو رفضت هذا تماما .

وفتح باب القبو ، فسأله رجل المخابرات :

ـ هل حصلت منه على شىء ؟

أجابه (موشى) :

ـ كلا .

سأله الرجل :

ـ هل نواصل استجوابه ؟

أشار (موشى) برأسه نفيا ، وقال :

ـ بل قم بنقله إلى زنزانة منفردة ، وأعلن أننا سنعدمه .

هتف الرجل فى دهشة :

- نعدمه ؟!

أجابه (موشى) فى صرامة :

- أعلن هذا على الجميع .

قال الرجل مستنكرًا :

- ولماذا أعلنه ؟.. سأطلق النار على رأسه مباشرة ، وينتهى كل شىء .

صاح به (موشى) :

- قلت لك : أعلنه .. نفذ الأوامر دون مناقشة .

مطّ الرجل شفتيه ، وقال :

- فليكن .. سنفعل ما تأمر به يا (موشى) ، فربما لديك خطة ما .

توقف (موشى) لحظة ، وأجاب :

- هذا صحيح يا رجل .. إن لدى خطة .

وكان على حق ..

إن لديه خطة ..

خطة شيطانية .

* * *

٧ - الفكرة ..

رفع (قدرى) و (منى) عيونهما فى لهفة إلى (حسام) ، الذى اندفع إلى حجرة (قدرى) ، والانفعال يكسو ملامحه ، وسألته (منى) بسرعة :

- ما آخر الأخبار ؟

أجابها بأسرع منها :

- لقد قفز بسيارته فى البحر .

هبّ (قدرى) ، هاتفًا :

- ما معنى هذا ؟ ما الذى أرسله إلى البحر ؟

أجاب (حسام) :

- الأخبار التى وردت الآن ، تقول : إن رجال (الموساد) طاردوا (أدهم) ، فى قلب (تل أبيب) ، حتى وصل إلى الميناء التجارى ، وهناك اقتحم كل المتاريس والحواجز ، ووثب بالسيارة إلى قاع البحر .

خفق قلب (منى) فى قوة بين ضلوعها ، وهى تقول :

- وماذا حدث بعدئذ ؟

هزّ رأسه ، قائلًا :

- لا أحد يدرى .. لقد انتشل رجال الأمن السيارة ، من قاع البحر ، ولكنهم لم يعثروا عليه .. لقد اختفى تمامًا .

تنفست الصعداء ، وهى تقول :

- حمدًا لله .. لقد نجا .

قال فى حذر :

- ولكن الجميع يؤكدون أنه لم يطف لحظة واحدة على السطح ، منذ غاص فى الأعماق ، على امتداد الميناء كله ، والمسافة تحتاج من أكثر السباحين مهارة إلى عشر دقائق كاملة ، ومهما بلغت قدرات (أدهم) ، فلن يبقى تحت الماء طوال هذه الفترة دون هواء كاف .

ابتسم (قدرى) ، وقال :

- سيجد وسيلة مناسبة .

قال (حسام) ، فى شىء من العصبية :

- كيف ؟.. هل سيستخرج الأوكسجين من الماء ، مثل الأسماك ؟

غمغم (قدرى) :

- ربما .

مط (حسام) شفتيه لحظة ، وقال :

- فليكن .. أنا أيضًا أثق بنجاته ، أيا كانت الوسيلة التى اتخذها ، ولكن ليس هذا هو المهم .

سألته (منى) فى قلق :

- ما المهم إذن ؟

أجاب فى حزم :

- الشخص الذى قاد المطاردة .

تبادل (قدرى) نظرة قلقة مع (منى) ، قبل أن يسأله :

- من هذا الشخص بالضبط ؟

نقل بصره بينهما فى بطء ، قبل أن يجيب :

- (موشى) .. (موشى حاييم تزرانيلى) .

اتسعت عينا (قدرى) فى دهشة بالغة ، وهتفت (منى) فى استنكار :

- مستحيل !.. هناك خطأ ما .. لقد لقى (موشى) مصرعه فى ...

قاطعها (حسام) فى حزم :

- آخر برقية شفرية أرسلها (أدهم) تؤكد هذا .. (موشى تزرانيلى) لم يمت ، وهو يطارد (أدهم صبرى) فى إصرار شرس ، فى قلب (تل أبيب) .

ساد وجوم وصمت ثقيلان ، بعد أن انتهى من عبارته ، وخيم على المكان شعور ثقيل رهيب ، قطعته (منى) ، وهى تقول فى صرامة :

- وما الذى نفعله نحن هنا ؟
ثم نهضت مستطردة فى انفعال :
- لابد أن نسافر الآن إلى (إسرائيل) .. (أدهم) يحتاج حتمًا إلى وجودنا إلى جانبه .
قال (قدرى) :
- مهلًا يا (منى) .. لابد أن نتأكد أوّلًا من أن سفرنا هذا لن يزيد الأمور تعقيدًا ، بالنسبة لـ(أدهم) ، ثم إن المشكلة الفعلية الآن هى : أين هو ؟ .. أين (أدهم صبرى) ؟
ألجمها القول تمامًا ، وفجّر فى أعماقها السؤال ذاته ..
أين (أدهم صبرى) الآن ؟..
أين ؟..

* * *

تطلّع (شيمون زار) فى دهشة إلى ذلك الرجل ، الذى يرتدى زى عمال الميناء ، والذى وقف أمامه بوجه لطخته الشحوم ، وسأله فى حيرة :
- من أنت يا رجل ؟.. وماذا تريد ؟
ابتسم الرجل ، وقال بالعربية :
- صباح الخير يا عزيزى (أحمد) .. مضت سنوات منذ التقينا لآخر مرة .

اتسعت عينا (شيمون) ، وهتف :
- أنت ؟!
ثم جذب الرجل إلى داخل شقته فجأة ، وتأكّد من أن أحدًا لم يتبعه ، ثم أغلق الباب فى إحكام ، والتفت إليه هاتفًا فى مزيج من الدهشة والسعادة :
- (أدهم) ؟!.. أهو أنت ؟.. يا إلهى !.. كيف حالك يا رجل ؟.. ماذا تفعل هنا فى (تل أبيب) ؟
مسح (أدهم) الشحوم من وجهه ، وهو يقول :
- أجّل كل أسئلتك هذه لما بعد يا صديقى ، فأنا أحتاج أوّلًا إلى حمام منعش ، ثم إلى إفطار شهى ، وبعدها سأجيب عن كل أسئلتك .
هتف الرجل :
- تفضل يا صديقى .. منزلى كله رهن إشارتك ، وعندما تنتهى من حمامك ، ستجد إفطارًا شهيًا فى انتظارك .
اتجه (أدهم) إلى الحمام ، وحصل بالفعل على حمام دافئ ، أزال به كل الشحوم والأوساخ عن جسده ، ثم توضأ ، وارتدى معطف الرجل المنزلى ، وأدى صلاة الصبح ، وعندما انتهى منها تسللت إلى أنفه رائحة الطعام الشهية ، وسمع (شيمون) يقول :

- الإفطار معك يا صديقى .
أقبل (أدهم) على الطعام بشهية حقيقية ، و (شيمون) يسأله :
- ما الذى فعل بك هذا ؟
أجابه (أدهم) :
- إنها قصة طويلة يا صديقى ، ولقد انتهت بمطاردة فى قلب (تل أبيب) ، جعلتنى أقفز بسيارتى إلى البحر ، وأسبح تحت الماء لربع ساعة كاملة ، حتى وصلت إلى مخازن الميناء ، فاستوليت على ثياب أحد العمال ، وتنكرت فى هيئته ، وأتيت إليك على الفور .
قال (شيمون) فى حذر :
- ولكن أليس من الخطورة أن تأتى إلى هنا ؟!.. لست أرفض استقبالك ، ولكنك تعلم أن وجودى هنا محاط بسرية بالغة ، فالجميع يتعاملون معى باعتبارى (شيمون زار) ، عضو الكنيست الإسرائيلى البارز(*) ، دون أن يخطر ببالهم أننى فى الواقع (أحمد سليم) ، رجل المخابرات المصرى ، الذى تم زرعه بينهم ، منذ أكثر من ربع القرن .
أجابه (أدهم) :

(*) الكنيست : مجلس الشعب الإسرائيلى (البرلمان) .

- اطمئن يا صديقى .. لن أبقى هنا طويلاً ، ولكن الأسلوب الذى يتتبعوننى به ، كان يحتم علىّ اتخاذ خطوة لا يمكن توقعها قط ، حتى عن طريق أكثر أجهزة الكمبيوتر ذكاءً .
سأله الرجل فى اهتمام قلق :
- وما الذى تنوى فعله ؟
أجابه (أدهم) :
- سأحتاج إلى بعض المساحيق من متجر لأدوات التجميل ، وإلى شقة فى مكان ما ، بالقرب من مبنى (الموساد) .. هل يمكنك تدبير هذا ؟
هزّ الرجل كتفيه ، وقال :
- بالطبع .. هل تريد شيئًا آخر ؟
قال (أدهم) فى هدوء :
- كلا .. سأتولى الأمور الأخرى بنفسى .
قال (أحمد) فى حسم :
- فليكن . سأدبر المنزل والمساحيق على الفور .
ثم سأله بغتة :
- ولكن أخبرنى .. كيف أمكنك أن تسبح لربع ساعة كاملة ، تحت سطح الماء .. هل كنت ترتدى ثوبًا للغوص ؟
ابتسم (أدهم) ابتسامة غامضة ، وقال :

- بل كانت لدى وسيلة مبتكرة .
ولم يزد حرفًا واحدًا ..

* * *

«الإطار الاحتياطى ...»

نطقها (موشى) فى حسم واضح ، وهو يقف فى حجرة مدير (الموساد) ، ويتطلع عبر النافذة إلى الخارج ، فاعتدل المدير فى مقعده ، وسأله فى حيرة :

- وما صلة الإطار الاحتياطى باختفاء (أدهم صبرى) ؟

التفت إليه (موشى) ، وقال :

- لقد انتزعه من مكانه ، واستخدم الهواء المضغوط داخله ، ليتنفس تحت الماء ، طوال المسافة التى قطعها ، حتى خرج من حدود الميناء .

اتسعت عينا المدير فى دهشة ، وهو يقول :

- استخدم هواء الإطار .

أومأ (موشى) برأسه إيجابًا ، وقال بشىء من الغيظ :

- فكرة مبتكرة وأنيقة ، تشف عن ذكائه وهدوء أعصابه الشديد ، حتى فى أحلك المواقف .

قال المدير فى حنق :

- يلوح لى أحيانًا أنك تحسده .

لم يجب (موشى) ، وإن عاد يتطلع عبر النافذة فى صمت ، وقد انعقد حاجباه فى شدة ، وعندما طال صمته قال المدير :

- إلى أين ذهبت ؟

تمتم (موشى) :

- أنا هنا .

ثم عاد يلتفت إلى المدير ، مستطردًا :

- كنت أفكر فى أمر (أدهم صبرى) ، فهو لن يغادر إسرائيل ، ولن يهدأ له بال ، حتى يتم مهمته .

سأله المدير :

- هل نجح فى الحصول على أية معلومات من (أورلوف) ، قبل وصولكم ؟

أجابه (موشى) :

-(أورلوف) ينكر هذا تمامًا ، ولكن لا أحد يدرى .. الأفضل أن يتم تغيير كل وسائل الأمن ، حتى نوقع بذلك الرجل .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول المدير :

- أتظننا سنوقع به حقًا ؟

ضغط (موشى) أسنانه لحظة أخرى ، وقال :

ـ لو سار كل شىء كما أخطط له ، فسنوقع به حتمًا .

سأله المدير فى اهتمام :

ـ ألديك خطة محدودة ؟

أجاب (موشى) :

ـ نعم .. لدى خطة ، يمكن أن يقال عنها : إنها مضمونة ، فهى لن تعتمد على براعتنا ومهارتنا ، بقدر ما ستعتمد على طبيعة الخصم نفسه .

وعاد يتطلع عبر النافذة ، مستطردًا فى حزم :

ـ سنجعل (أدهم صبرى) يوقع بـ(أدهم صبرى) .

واختلط حزمه بشىء آخر ..

بالكراهية ..

الكراهية بلا حدود ..

* * *

ازدحم السوق العربى فى (تل أبيب) بالباعة والمارة والمشترين ، وراح كل بائع يرفع صوته مناديًا على بضائعه ، وامتزجت الأصوات ببعضها ، واختلطت الأمور ، وانشغل كل بما لديه ، حتى أن أحدًا لم يعر اهتمامًا أو انتباهًا للرجل الهادئ ، البنى الشعر ، الكث اللحية ، الذى عبر

السوق فى هدوء ، واتجه نحو متجر للعطور ، وسأل صاحبه بالعربية ، وبلهجة فلسطينية واضحة :

ـ أأجد لديك عطرًا باردًا ؟

توقف الرجل عن العمل بغتة ، ورفع عينيه إلى صاحب السؤال فى اهتمام ، ثم عاد ينشغل بما بين يديه ، قائلًا :

ـ ولماذا تستخدم عطورًا باردة ، وفصل الشتاء على الأبواب ؟

أجابه الرجل فى هدوء :

ـ أحب تلك الرجفة التى يمنحها .

وهنا ابتسم صاحب المتجر ، بعد أن تلقى كلمة السر المنشودة ، وأشار إلى داخل متجره ، قائلًا :

ـ من الواضح أنك تفهم الكثير فى عالم العطور .. تفضل بالداخل ، وسأعرض عليك أفضل ما لدى .

دلف الرجل إلى المتجر فى هدوء ، وتظاهر بمراجعة بعض الزجاجات الأنيقة فوق الأرفف ، ثم اختفى بحركة بدت طبيعية ، فى أحد الأركان ، وهناك ضغط جزءًا خفيًا فى الأرفف ، فانزاحت فى رفق ، وكشفت بابًا يقود إلى قبو خفى ، أسرع إليه الرجل ، وترك الأرفف تعود إلى موضعها خلفه ، ثم ابتسم قائلًا :



توقف الرجل عن العمل بغتة ، ورفع عينيه إلى صاحب السؤال في اهتمام ..

ـ صباح الخير يا رجال .

نهض ثلاثة من الفلسطينيين يستقبلونه في حرارة ، وكبيرهم يقول :

ـ مرحبًا بك يا سيِّد (أدهم) .. حمدًا لله على سلامتك .. تفضل .

دعوه للجلوس ، وهو يسأل :

ـ كم كانت خسائرنا ليلة أمس ؟

أجابه كبيرهم (غسان) :

ـ ستة أفراد .. أربعة لقوا مصرعهم ، واثنان تم أسرهما .

سأله (أدهم) في اهتمام :

ـ وماذا عن (زياد) ؟

بدا الحزن على وجه الرجل ، وأجاب :

ـ إنه أحد الأسيرين .

ارتسم ضيق شديد على وجه (أدهم) ، وهو يقول :

ـ يا إلهي !.. يبدو أن وجودي هنا سيسبِّب أضرارًا للجميع .

ربَّت (غسان) على كتفه ، قائلًا :

ـ لا تفكِّر بهذا الأسلوب يا رجل .. إننا نقاتل جميعًا من

أجل قضية واحدة ، ونحن مستعدون لتقديم أضعاف هؤلاء الضحايا ، حتى لا يربح الإسرائيليون نقطة تفوق واحدة .

لم يبد عليه الارتياح ، وإن سيطر على مشاعره ، وسأل :

- هل أبدلوا شيئاً من إجراءات الأمن ، بشأن (سيميولاتور) ؟

أجابه (غسان) :

- لقد أبدلوا كل شيء ، ولكننا لم نعلم مكانه بعد .

ثم سأله فى اهتمام :

- ألديك خطة بديلة ؟

صمت (أدهم) لحظات ، ثم أجاب :

- لدى خطة مجنونة ، ولكنها تصلح للتعامل مع هؤلاء الأوغاد ، فهم يستخدمون الآن فكرة التوقعات المنطقية ، وحتى يمكنك هزيمتهم ، ينبغى أن تتجاوز كل حدود المنطق والعقل ، وتلعب بأسلحة الجنون فحسب .

سأله آخر :

- وهل هى خطة ممكنة التنفيذ ؟

أجابه (أدهم) على الفور :

- بل هى مستحيلة .

بدا مزيج من الدهشة وخيبة الأمل على وجوههم ، إلا أنه استطرد فى سرعة :

- وهذا ما يجعلها ممكنة التحقيق .

هتف (غسان) :

- أى لغز هذا يا سيد (أدهم) ؟.. كيف تكون الخطة مستحيلة ، ولكنها ممكنة التنفيذ ؟.. كيف يصلح هذا التناقض ؟!

ابتسم (أدهم) ، وهو يجيب :

- لا تنس أننا نتعامل مع خصوم أذكياء يا رجل ، ويستعينون بأحدث وأقوى جهاز كمبيوتر فى العالم ، لاستنتاج وتحديد خطواتنا القادمة ، وكل خطة ممكنة نضعها ، سيستنتجها الكمبيوتر ، ويفسدها على الفور ، إذن فالخطة الوحيدة التى يمكن أن تخدعهم ، والتى تصلح للتنفيذ ، هى الخطة المستحيلة ، التى لن تخطر ببالهم قط ، ولا يمكن لجهازهم استنتاجها .

قال رجل ثان :

- وماذا عن تنفيذها ؟.. المهمة المستحيلة تعنى صعوبة بالغة فى التنفيذ ، أو استحالته إذا توخينا الدقة ، فكيف تتوقع نجاحك فى هذا ؟

خيل إليهم أن ابتسامته قد حملت شيئاً من الجذل ، وهو يجيب :

ـ اترك لى هذا ، فالمهام المستحيلة هى اختصاصى الأمثل .

سأله (غسان) فى حيرة :

ـ كيف إذن ؟

همّ (أدهم) بقول شىء ما ، لولا أن ارتفعت دقات متميزة على باب القاعة السرية ، فهبّ (غسان) ، قائلًا :

ـ إنه (أديب) .. من المؤكد أن أمرًا جللًا قد حدث ، فهو لا يأتى إلى هنا إلا للضرورة القصوى .

لم يكد ينتهى من عبارته ، حتى فتح (أديب) الباب ، واندفع إلى الداخل ، هاتفًا :

ـ لقد قرّروا إعدام (زياد) .

التقى حاجبا (أدهم) فى شدة ، ولكنه لم ينبس ببنت شفة ، و (غسان) يسأل (أديب) فى انفعال :

ـ متى وأين ؟!

أجابه (أديب) :

ـ الليلة .. لقد قرّروا استجوابه حتى منتصف الليل ، ولو لم يحصلوا منه على اعتراف شاف ، سيقتلونه رميًا بالرصاص .

هبّ (أدهم) واقفًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ إذن فأمامنا حتى منتصف الليل .

صاح به (غسان) :

ـ ابتعد عن هذا يا سيّد (أدهم) .. ربما كان فخًا .

أجابه (أدهم) :

ـ وربما لا .. وفى كل الأحوال ، فمن المؤكد أن (زياد) فى خطر بالغ .

قال(غسان) :

ـ فليرحمه الله (سبحانه وتعالى) .

أجاب (أدهم) :

ـ اسمع يا عبد ، يسمع الله (سبحانه وتعالى) معك .. سنبذل قصارى جهدنا لإنقاذه .

صاح (أديب) :

ـ مستحيل !.. إنهم يحتفظون به فى قبو مبنى (الموساد) ، ويحيطونه بحراسة بالغة ، وباب القبو مزوّد بجهاز إنذار متطوّر ، و ...

قاطعه (أدهم) بغتة :

ـ هل تعرف هذه التفاصيل بشكل علمى ؟

حدّق (أديب) فى وجهه لحظة ، قبل أن يتمتم :

ـ ماذا تعنى ؟

سأله فى حزم :

ـ أعنى هل تعرف موقع القبو هندسيًا ، وما يتصل به من شبكات الماء والكهرباء والتهوية ؟.. وهل راقبت المكان ، وعرفت عدد رجال الحراسة ، ونوع جهاز الإنذار ، وكل التفاصيل الأخرى ؟

أجاب (أديب) :

ـ بالتأكيد .. لدينا خريطة لشبكة المياه والكهرباء ، ولخطوط التهوية ، حصل عليها رجالنا فى الحكومة الإسرائيلية ، أما عن القبو ، فلدينا الرسم الهندسى لمبنى (الموساد) ، محدّد فيه موقع أجهزة التهوية بالضبط ، وبالنسبة لجهاز الإنذار ، فهو جهاز من نوع خاص ، يفحص بصمة الرجال ، المسموح لهم بالدخول إلى القبو ، وكل منهم يحمل بطاقة مغنطيسية خاصة ، لفتح باب القبو إليكترونيًا ، وفى النهاية يوجد ستة من الحراس ، منذ مدخل الممر ، الذى يقود إلى القبو ، وحتى باب القبو نفسه ، وكل منهم يحمل مدفعًا آليًا ، ويجيد عددًا من أساليب الصراع والقتال اليدوية ، وعندما يتمّ إلقاء القبض على أسير ما ، وتصدر الأوامر بنقله إلى القبو ، يتسلمه حارسا الباب الرئيسى ، ويعبران به الممر إلى باب آخر فى منتصفه ،

ويتسلمه حارسا المنتصف فى هذا المكان ، ثم يسلمانه لحارسى القبو ، اللذين يضعانه داخل القبو ، ويغلقان أبوابه الإليكترونية ببطاقة مغنطيسية أخرى .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وبدت عليه علامات التفكير العميق لحظات ، قبل أن يسأل فى اهتمام :

ـ وما اتساع فتحات التهوية ؟

مطّ (أديب) شفتيه ، وهزّ رأسه ، قائلًا :

ـ هذه هى النقطة المؤسفة ، فاتساع فتحات التهوية يكفى لاحتواء جسدك ، بالنسبة لمعظم المكان ، أما عند الجزء الخاص بالقبو ، فهى أضيق مما ينبغى ، بحيث لا تتسع حتى لطفل صغير .

عاد (أدهم) إلى صمته لحظات أخرى ، فتنهّد (أديب) ، وقال :

ـ صدقنى .. الوصول إلى (زياد) مستحيل ، فأنت لا تمتلك البطاقات المغنطيسية الخاصة ، أو الـ ...

قاطعه (أدهم) ، وهو يشير إلى رأسه :

ـ ولكننى أمتلك هذا .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة ، وهو يضيف :

ـ كما أننى أعشق المهام المستحيلة .. أعشقها كثيرًا .

وحملت ابتسامته الغموض ..

كل الغموض .

* * *

٨ ـ لمسة عبقرية ..

ابتسم حارس بوّابة مبنى (الموساد) فى استهتار ، وهو يلقى نظرة روتينية سريعة على بطاقة (ليوراپان) ، وهو يقول :

ـ مرحبًا يا (ليو) .. أين تختفى منذ أكثر من شهر كامل ؟

مطّ (ليو) شفتيه ، وهزّ كتفيه فى لامبالاة ، وهو يجيب :

ـ فى منزلى .. لقد أبليت بلاءً حسنًا فى عملية (أوغندا) ، فمنحونى شهرًا كاملًا للراحة .

تنهّد الحارس ، وهو يعيد إليه بطاقته ، مغمغمًا :

ـ آه .. نسيت أنك تنتمى إلى فريق المحظوظين .

ضحك (ليو) فى سخرية ، وقال :

ـ فريق المحظوظين ؟!.. من الواضح أنك لا تعلم شيئًا عن العمل الفعلى هنا يا صاح .. إننا فريق المتعوسين ، الذين يواجهون الخطر فى كل مكان فى العالم ، وينامون بأعين نصف مفتوحة ، ومسدساتهم تحت وسائدهم ، و ...

قاطعه الحارس فى ضجر :

ـ فليكن يا (جيمس بوند) .. إننى أملّ بسرعة تلك المحاضرات السمجة .. هيا اذهب إلى مكتبك ، واسترجع ذكريات مغامراتك هناك .

هزّ (ليو) كتفيه فى استهتار ، وعبر بوّابة المبنى فى خطوات سريعة ، ثم استقلّ المصعد إلى الطابق الثالث ، وهناك ألقى التحية على رجال أمن الطابق ، وسألهم :

ـ هل أجد المدير فى مكتبه ؟

أجابه أحدهم :

ـ نعم .. هو هناك منذ الصباح الباكر .

اتجه (ليو) مباشرة إلى مكتب المدير ، ودقّ الباب فى رفق ، حتى سمع صوت المدير يقول :

ـ من بالباب ؟

دفع (ليو) الباب ، ورسم على شفتيه ابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

ـ صباح الخير يا سيّدى المدير .

اعتدل المدير فى مقعده ، وقال :

ـ (ليو) ؟!.. صباح الخير يا رجل .. لماذا قطعت إجازتك ؟

دخل (ليو) إلى الحجرة ، وأغلق بابها خلفه ، ثم اتجه إلى مكتب المدير ، وهو يجيب :

ـ سئمت الرقاد فى فراشى طوال الوقت ، فقرّرت العودة إلى العمل .

تراجع المدير فى مقعده ، وهو يقول :
ـ عجبًا !!.. هذا يخالف طبيعتك .
ضحك (ليو) ، وقال وهو يخرج علبة سجائره وقداحته :
ـ الناس تتبدّل باستمرار .
أفلت قداحته عن عمد ، وانحنى ليلتقطها ، وعندما استند إلى حافة المكتب لينهض ، كانت أصابعه الماهرة الخبيرة تلصق جهاز التصنت فى جزء خفى بالحافة ، قبل أن يعتدل قائلًا :
ـ هل يمكننى إشعال سيجارتى هنا ؟
أجابه المدير فى صرامة :
ـ كلا .. لا يمكنك هذا .. اذهب ودخن سيجارتك فى مكتبك ، فلدى عمل كثير ومشاغل أكثر اليوم .
ابتسم (ليو) قائلًا :
ـ لا بأس .. سأذهب إلى مكتبى .. لقد اشتقت إليه كثيرًا .
وعندما غادر حجرة مكتب المدير ، كان وجهه يحمل ابتسامة كبيرة ..
ابتسامة ظافرة ..

* * *

نهض (أكشن مايكل) فى احترام ، عندما دلفت (سونيا) إلى حجرة مكتبها ، وأدهشه أن يشعر أمام نظراتها بكل هذا الاضطراب ، وهو رجل العصابات القديم ، فى حين نفثت هى دخان سيجارتها فى بطء وعمق ، وهى تجلس خلف مكتبها ، وراحت ترمقه بنظرات باردة جامدة لحظات ، قبل أن تسأله :
ـ هل نجحت فيما أسندته إليك ؟
أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :
ـ إلى درجة رائعة يا سيدتى .. لقد أجريت الاتصال المطلوب مع (روبرت مور) ، رجل المخابرات الأمريكى ، ولقد وافق على الانضمام إلينا ، وأعطيته جهاز التصنت ، والمبلغ كله .
هزّت رأسها ، مغمغمة :
ـ عظيم .. وماذا عن الأمر الثانى ؟
بدا الحماس فى صوته ، وهو يجيب :
ـ أتقصدين الجزيرة ؟.. لقد وقعت عقد الشراء صباح اليوم ، وأصبحت الجزيرة ملكًا لنا .. أعنى ملكًا لك يا سيدتى .. وهى جزيرة ممتازة ، من النادر أن يجدها المرء على أية خريطة عادية ، ثم إنها تبعد مائتى كيلومتر

فحسب ، عن الساحل الأمريكى ، ولها شاطئ كبير ، وقمة يمكننا بناء مقر القيادة فوقها .

أغلقت عينيها فى ارتياح ، وهى تستمع إليه ..

ها هى ذى تصنع النموذج ، الذى كانت تحلم به دائمًا ..

نفس نمط جزيرة (تيرور) ، مقر قيادة منظمة (سكوربيون) ، التى نسفتها من أجل (أدهم) يومًا(*) ..

إنها تحلم دائمًا بشىء كهذا ..

كانت أحلامها تملأ كيانها ، عندما قطعها (مايكل) ، وهو يقول :

ـ والآن ماذا ستطلقين على جزيرتك يا سيّدتى ؟

تطلّعت إليه لحظة فى صمت ، وقد ساءها أن يقطع أحلامها على هذا النحو ، وقالت فى صرامة وحدّة :

ـ ليس هذا هو المهم الآن .

سألها فى حيرة :

ـ ما المهم إذن ؟

اعتدلت وهى تجيب فى حزم :

(*) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم (٨٤) .

ـ لقد اقترب كل شىء من الكمال .. الشبكة اكتملت ، بعملاء فى (إسرائيل) و(مصر) ، و(أمريكا) ، و(روسيا) ، والجيش الخاص تم تدريبه فى (أمريكا الجنوبية) ، وأصبحت لى جزيرة خاصة .. فما الذى تبقى ؟

حاول أن يستنتج الجواب ، ولكنه فشل تمامًا ، فتمتم :

ـ ما هو ؟

أجابته فى حماس :

ـ أن يتمّ بناء مقر القيادة .. أعظم مقر قيادة لمنظمة خاصة .. أريده معجزة تكنولوجية بكل المقاييس .. تعاقد مع أفضل مهندسى البناء .. أفضل العمال .. أفضل الفنيين ، وأنفق بسخاء تام .. أريد أن يتكلّف هذا المقر مائة مليون دولار .

شهق لهول المبلغ ، وهتف :

ـ سيّدتى .. ألا تسرفين كثيرًا فى هذا الأمر .

أجابته فى حدة :

ـ لا شأن لك بهذا .. إنها نقودى ، وسأنفقها حسبما يحلو لى .

ثم هدأت فجأة ، وتراجعت فى مقعدها ، والتقطت نفسًا عميقًا من سيجارتها ، ونفثته فى قوة وابتسمت مستطردة :

- ثم إن العمل الذى سنقوم به مربح للغاية ، حتى أن أرباح عام واحد ستتجاوز هذا الرقم بكثير .

كانت عيناه تقفزان من محجريهما ، وهو يهتف فى دهشة :

- ستتجاوز ماذا ؟!..

ثم انعقد حاجباه فى شك ، وهو يسأل :

- فيم سنعمل بالضبط يا سيدتى ؟.. أفى تجارة المخدرات ؟

أطلقت ضحكة عابثة طويلة ، وقالت :

- تجارة المخدرات ؟!.. يا لها من فكرة !.. كلا يا (مايكل) .. اطمئن .. إننا لن نقترب من هذا العالم القذر .

ثم مالت نحوه ، مستطردة ، وعيناها تبرقان فى شدة :

- إننا سنعمل جاهدين ، حتى نتزعم عالمًا آخر ، ترتجف لذكره القلوب .

ومالت أكثر ، وهى تستطرد :

- عالم الجاسوسية .

وكانت على حق ..

لقد ارتجف قلبه ..

ارتجف بشدة ..

★ ★ ★

أوقف (أدهم) سيارته بكل ثقة وهدوء ، أمام مبنى (الموساد) ، وغادرها فى بساطة مدهشة ، وتقدم إلى حارس البوابة ، وناوله بطاقة صغيرة ، طالعها الحارس فى اهتمام ، قبل أن يسأله :

- (اسحق زينون) .. إننى أذكر هذا الاسم .

ثم ضغط أزرار الكمبيوتر أمامه ، وقرأ المعلومات التى ارتسمت على الشاشة ، مصحوبة بصورة تماثل تلك التى تحتل موضعها ، فى بطاقة (الموساد) ، التى أعطاه إياها (أدهم) ، وتابع :

- نعم .. أنت أحد رجال مكتبنا فى (البرازيل) .. أليس كذلك ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال فى هدوء :

- بلى .. هذا صحيح .

أعاد إليه الرجل بطاقة (الموساد) الزائفة ، دون أن تمنحه مهارة (قدرى) المدهشة فى صنعها لحظة للشك ، وهو يقول :

- وما الذى أتى بك من (البرازيل) يا (إسحق) ؟

هزّ (أدهم) كتفيه ، وأجاب فى اقتضاب :

- دواعى العمل .

اكتفى الحارس بهذا القول ، وضغط زر فتح البوّابة ، وأشار إلى (أدهم) بالدخول ، متمتمًا :

ـ نعم .. الجميع هنا لدواعى العمل .

دخل (أدهم) مبنى (الموساد) فى هدوء شديد ، وقد أبدل ملامحه تمامًا ، بحيث صار نسخة طبق الأصل من (إسحق زينون) الحقيقى ، واتجه مباشرة إلى المصعد ، وكأنه يحفظ المكان عن ظهر قلب ..

كانت أوّل مرة يدخل فيها إلى مبنى (الموساد) فعليًا ، ولكنه طالع مئات الصور لكل جزء منه ، حتى صار يألفه تمامًا ، مما جعله يستقل المصعد إلى الطابق الرابع ، وهناك قدّم بطاقته لرجال أمن الطابق ، الذين لم تراودهم ذرة من الشك بشأنها أيضًا ، فأعادوها إليه فى بساطة ، وتركوه يقطع ممر الطابق الرابع بخطوات هادئة ، حتى انحرف فى نهايته ، ودفع باب حجرة المخزن ، ودلف إليها فى هدوء ، ثم أغلقها خلفه ، فاعتدل مسئول المخزن ، وسأله فى اهتمام :

ـ أهناك خدمة ، يمكننى القيام بها ؟

أجابه (أدهم) بابتسامة هادئة :

ـ نعم .. توجد خدمة واحدة .

وبسرعة البرق ، كال له لكمة كالقنبلة ، ألقته أرضًا ، وأفقدته الوعى فى لحظة واحدة ، فأسرع (أدهم) يقيّده فى إحكام ، ويكمّم فمه جيدًا ، ثم أغلق باب حجرة المخزن من الداخل ، وراح يخلع معطفه فى سرعة ، وبعدها دفع مقعدًا ، أسفل فتحة التهوية ، واعتلاه ليزيح غطاء الفتحة جانبًا ، ثم تعلّق بها ، ودفع جسده إلى أعلى ، وراح يزحف داخل ممر التهوية فى بطء ، حتى بلغ ممرًا هابطًا ، يصل إلى الطابق الأوّل ، فدفع قدميه فى أحد جدرانه ، وألصق ظهره بالجدار المقابل ، ثم راح يهبط فى بطء شديد ، مستخدمًا كل قوته ، حتى لا ينزلق عبر الممر إلى أسفل ..

ولم يكن هذا بالأمر السهل ..

كانت جدران الممر ، مثل كل ممرات التهوية ، ناعمة زلقة ، يصعب التشبث بجدرانها ، كما لم تكن ثيابه تسمح بمثل هذا الهبوط البطىء ..

ولكنه فعلها ..

بذل أقصى طاقته ، واستنفر كل قواه ، حتى فعلها ..

وأخيرًا استقرّ جسده داخل ممر أفقى واسع ، يتصل بأجهزة تهوية الطابق الأوّل ..

ولدقيقة أو دقيقتين ، رقد (أدهم) على ظهره يلهث فى شدة ، ثم تمتم متحدثًا إلى نفسه :



فدفع قدميه فى أحد جدرانه ، وألصق ظهره بالجدار المقابل ، ثم راح يهبط فى بطء شديد مستخدمًا كل قوته ..

ـ هيا .. لاتستسلم للتعب والإرهاق يا (أدهم) .. لقد انتهى أصعب جزء فى العمل كله .. هيا .. سيمكنك أن تتمه بإذن الله .

التقط نفسًا عميقًا ، ثم انقلب على بطنه ، وراح يواصل الزحف ، حتى بلغ حجرة المراجعة ، فى الطابق الأوّل ..

وعبر نافذة التهوية ، فحص الحجرة بنظرة شاملة ..

كانت تضمّ رجلين فحسب ، أحدهما يجلس إلى أقصى اليمين ، ويوليه ظهره ، أما الثانى فيجلس أسفل فتحة التهوية ..

وفى هدوء ، درس (أدهم) الموقف ، ثم انتزع عن وجهه قناع (اسحق زينون) فى رفق ، وطواه فى عناية ، ثم دسه فى جيبه ، وتمتم فى خفوت شديد :

ـ على بركة الله .

وبكل قوته ، دفع غطاء فتحة التهوية ، وتركه يسقط أرضًا ، ثم وثب عبر الفتحة إلى الحجرة ، فى مرونة مدهشة ..

وقفز الإسرائيليان من مقعديهما فى دهشة وذعر ، وامتدت يد الجالس تحت فتحة التهوية إلى جيبه ، فى محاولة لالتقاط مسدسه ، ولكن (أدهم) ركل المسدس بركلة سريعة ، ثم قفز ليركل وجه الرجل بقدمه الثانية ،

ويضربه بالحائط فى عنف ، واستدار فى سرعة مذهلة ، ليثب نحو الرجل الآخر ، فى أقصى اليمين ، قبل أن ينجح فى انتزاع مسدسه بدوره ، وكال له لكمة كالقنبلة فى فكه ، أتبعها بثانية فى معدته ، وثالثة فى أنفه مباشرة ..

وسقط الرجل الثانى فاقد الوعى ، فى حين ارتدّ الأوّل عن الحائط ، وحاول الانقضاض على (أدهم) الذى بادره بلكمة فى معدته ، انثنى لها الرجل ، فهوى (أدهم) على مؤخرة عنقه بلكمة أخرى ، ألحقته بزميله فى عالم اللاوعى ..

ثم تجمّد (أدهم) فى مكانه لحظات ..

كان يتأكّد من أن أحدًا لم ينتبه إلى ما حدث ، قبل أن يعتدل ، ويحذب الرجلين جانبًا ، ويتمتم ساخرًا :

ـ يبدو أنه يوم سعدك يا (أدهم) .. كل شىء يسير على ما يرام حتى الآن .

ثم أدار بصره فى شاشات الرصد التليفزيونية ، التى تملأ حجرة المراجعة والمراقبة ، والتى تنقل صورة لكل ما يحدث فى ممرات المبنى ، وتابع :

ـ الآن لم يعد هناك من يراقب ، أو يرسل إنذارًا بالخطر .. عظيم .. كل شىء يسير بالفعل على ما يرام ..

وعلى الرغم من كل هذا ، كانت أعماقه تزخر بشعور عجيب ..

شعور بالقلق ..

والخطر ..

★ ★ ★

أتت تلك العاصفة فجأة ، فى هذه الليلة ، وانهمرت الأمطار غزيرة على (تل أبيب) ، وسطع البرق فى السماء ، وانعكس على وجه (موشى نزرانيلى) ، وهو يتطلّع عبر نافذة حجرة مكتب مدير (الموساد) ، الذى سأله بشىء من الانفعال :

ـ أأنت واثق من نجاح خطتك ؟

أجابه (موشى) ، دون أن يلتفت :

ـ إننى أثق بطبيعته .

مط المدير شفتيه ، وقال :

ـ ليتنى أشاركك ثقتك هذه .

صمت (موشى) لحظات ، وهو يستمع إلى قطرات المطر ، التى راحت تضرب زجاج النافذة فى عنف ، ثم أجاب :

ـ شاركنى إياها ياسيّدى ، فلقد منحته هذه المرة ما لايمكنه مقاومته .

قال المدير :

ـ (أدهم صبرى) يفعل دائمًا ما لا نتوقعه .

أجابه (موشى) فى حسم :

ـ إلا فيما يتعلق بطبيعته .

ثم التفت إلى المدير ، مستطردًا :

ـ لقد عاونه هذا الفتى ، منذ وصل إلى (تل أبيب)، وخاطر بالكثير من أجله ، وهذه نقطة ضعف خطيرة ، فى شخصية (أدهم صبرى) .. إنه عاطفى للغاية ، ولا يمكنه التخلى عن أصدقائه .

تمتم المدير :

ـ نقطة ضعف بالغة الخطورة .

أشار (موشى) بيده ، وهو يقول :

ـ ونقطة الضعف هذه هى التى بنيت عليها خطتى كلها ، وهى التى تجعلنى الآن واثقًا من النصر .

سطع البرق مرة أخرى فى السماء ، وانعكس الضوء على وجه (موشى)، فبدا على الرغم من وسامته أشبه بوحش كاسر ، مما جعل المدير يهمس فى خفوت :

ـ إذن فأنت تتوقع أن يخاطر (أدهم صبرى) بمحاولة إنقاذ هذا الفتى .

اختلط صوته بهزيم الرعد ، فلم يبلغ من عبارته أذن (موشى) سوى همهمات مبهمة ، جعلته يسأل :

ـ ماذا تقول يا سيدى ؟

قال المدير مكررًا :

ـ أتتوقع محاولة من (أدهم صبرى) ؛ لإنقاذ الفتى (زياد) ؟

أجاب (موشى) فى شىء أشبه بالشرود :

ـ بالتأكيد .

سأله المدير :

ـ ومتى يفعل ؟

سطع البرق مرة ثالثة على وجه (موشى) ، وهو يجيب بنفس الشرود :

ـ الآن .. فى أية لحظة الآن .

ورددت السماء هزيم الرعد ..

★ ★ ★

تحرك (أدهم) فى خفة ، خارج حجرة المراجعة والمراقبة ، وتلفت حوله فى شىء من الحذر ، ثم اتجه فى خطوات سريعة إلى مدخل الطابق الأرضى ، حيث مدخل الممر ، الذى يقود إلى قبو المبنى ..

وفى سرعة ، تجاوز الطابق الأول ، وفتح الباب الذى يقود إلى السلم الخلفى ، وأسرع يهبط إلى الطابق الأرضى ، حتى بلغ مدخله الخلفى ، الذى يقف أمامه رجلان ، انهمكا فى حديث طويل ، دون أن ينتبها إليه ..

كانت مهمتهما هى منع الدخول إلى المكان؛ لذا فلم يخطر ببالهما قط مراقبة من يحاول الخروج ..

وفى هدوء ، قال (أدهم) :

ـ هل تسمحا لى بالخروج ؟

التفتا إليه فى دهشة وذعر ، ولم يكد بصرهما يقع عليه ، حتى هتف أحدهما ، وهو يرفع فوهة مدفعه الآلى :

ـ بالشيطان !.. كيف أتيت إلى هنا ؟

أمسك (أدهم) ماسورة المدفع بحركة سريعة ، وضرب بها وجه الرجل ، فى قوة وعنف ، وهو يقول :

ـ هل أدهشك وجودى ؟

ثم وثب فى خفة ، وركل المدفع الآلى فى يد الثانى ، ثم حطم أنفه بلكمة ساحقة ، متابعًا :

ـ وماذا عنك أنت؟

سقط الرجلان فاقدى الوعى ، وأزاحهما (أدهم) جانبًا ، وهو يقول :

ـ هذا عقاب لكما ، لعدم انتباهكما لعملكما جيدًا .

قالها ، وفتح الباب الخلفى ، ثم اتجه مباشرة إلى ممر الطابق الأرضى ، ولم يكد يفعل حتى سمع صوتًا يهتف فى ذهول :

ـ كيف أتى هذا إلى هنا ؟

وعندما استدار (أدهم) فى سرعة ، كانت هناك خمسة مدافع رشاشة موجهة إلى صدره مباشرة ..

وفى هذه المرة لم يقاوم (أدهم) ..

لم يقاوم قط .

★ ★ ★



٩ - الأسير ..

تضاعفت شدة العاصفة بسرعة، وراحت الأمطار تهطل كما لم تفعل من قبل، طوال ذلك الموسم بأكمله، وبدا (غسان) قلقًا متوترًا، يقطع ردهة منزله جيئة وذهابًا فى عصبية ملحوظة، وهو يلقى نظرة على ساعته، بين الحين والآخر، حتى أن زوجته سألته فى توتر:

- هل تثير العاصفة انفعالك؟

هز رأسه نفيًا، وهو يقول:

- كلا، ففى أعماقى عاصفة أشد قوة وضراوة.

انتقل قلقه إليها، وهى تتمتم:

- أهى عملية جديدة؟

أجاب فى اقتضاب:

- نعم.

تضاعف قلقها، وانقبض قلبها فى شدة، ولكنها لم تجرؤ على سؤاله عن التفاصيل ..

وحتى لو فعلت، ما كان هو ليخبرها بحرف واحد ..

هكذا اعتادته ..

عطوف وحنون، فيما يتعلق بأسرته ..

صارم وكتوم، فى كل ما يتصل بعمله ..

عمله السرى ..

ولكنها أدركت بحاستها الأنثوية، التى قلما تخيب، أنه مقدم الليلة على عمل بالغ الأهمية والخطورة ..

أو أنه ينتظر نتائج حاسمة ..

وبدون وعى، امتزجت مشاعرها بمشاعره، وصارت تشعر مثله بالقلق والتوتر، حتى وهى تجهل ما بأعماقه ..

وفجأة، ارتفعت دقات منتظمة على باب المنزل، فقفزت هى من مقعدها شاهقة، فى حين اعتدل هو فى تحفز، وهو يهتف:

- إنه (أديب) ..

هبت لتفتح الباب، ولكنه كان الأسبق، فبلغه بقفزة واحدة، وفتحه ليهتف فى وجه (أديب):

- ماذا هناك؟

بدا (أديب) شاحبًا، وهو يندفع إلى الداخل، ويغلق الباب خلفه قائلًا:

- كارثة ..

هوى قلب الزوجة بين قدميها، وشحب وجه (غسان)، وهو يرتد:

- كارثة؟!.. هل .. هل ألقوا القبض عليه؟

هتف (أديب):

كلا ، ولكنه سيقع فى الفخ .. لقد خدعونا جميعًا .. كل هذا مجرّد خدعة .. خدعة شريرة للإيقاع به .

صاح (غسان) :

- لابد من إنذاره إذن .. إنذاره بأية وسيلة .

أجابه (أديب) فى مرارة :

- لا فائدة .. إنه فى وكرهم الآن .. لم تعد هناك فائدة .

وتهاوى قلب الزوجة ، ومعها تهاوى الأمل فى أعماق (غسان) ..

تهاوى إلى الحضيض ..

* * *

رأى (أدهم) المدافع الآلية مصوّبة إليه ، فتوقّف فى مكانه ، ولم يقاوم قط ..

فقط رفع ذراعيه ، هاتفًا :

- لا .. لا تطلقوا النار .

والعجيب أن الصوت الذى خرج من بين شفتيه لم يكن صوته هو ..

كان صوت (زياد) ..

حتى هيئته ، وثيابه الممزّقة ، والدماء التى تجمّدت على وجهه ، كلها كانت تجعله نسخة طبق الأصل من (زياد) ، مما أصاب الحراس بذهول ، وهم يلقون القبض عليه ، هاتفين :

- كيف أمكنك هذا ؟.. كيف أمكنك الخروج من القبو .. إننا لم نبتعد عنه قيد أنملة !!

صاح آخر :

- أساحر أنت يا فتى ؟!

لم يجب (أدهم) قط ، وهو يستسلم لهم ، فتحسّس أحدهم جسده فى سرعة ؛ ليتأكد من عدم وجود أية أسلحة معه ، ثم دفعه أمامه ، قائلًا :

- ستتسبّب فى عقوبة ضخمة لنا ، عندما يعلم المسئولون بفرارك الجزئى هذا .

قال أحد حارسى الباب ، الذى يقود إلى ممر القبو :

- ولماذا يعلمون ؟.. سنعيده إلى حيث كان ، ونحتفظ بالسر فى أعماقنا .

تمتم الأوّل :

- نعم .. هذا أفضل .

لم يقاوم (أدهم) قط ، وحارسا البوابة الأولى يتصلان بحارس بوابة المنتصف ، الذين هرعا إليهما ذاهلين ، وما أن وقع بصرهما عليه ، حتى صاح أحدهما :

- يا للشيطان !.. كيف أتى إلى هنا ؟

أجابه (أدهم) :

ليس هذا من شأنك .

قال الحارس الآخر فى غلظة :

ـ يبدو أنك تحتاج إلى درس آخر .

ثم دفعه إلى الممر ، وأغلق الباب خلفه فى إحكام ، واتجه به إلى بوابة منتصف الممر ، وهناك اتصل بدوره بحارسى باب القبو ، اللذين حضرا لتسلُّمه ، وقد شملهما الذهول نفسه ، الذى شمل الباقين ، وغمغم أحدهما :

ـ إنه ساحر حتمًا .

زمجر الآخر ، وهو يقول :

ـ مستحيل !. السحر هو لعبتنا نحن معشر اليهود ، ولم نعهده بين هؤلاء العرب .

قال (أدهم) ساخرًا :

ـ نحن نتعلم بسرعة .

صاح به الأوَّل :

ـ اخرس .

وأغلقا باب المنتصف فى إحكام ، ثم اتجها إلى باب القبو ، وألصق كل منهما إبهامه بمربع زجاجى صغير ، ثم دسّ بطاقته المغنطيسية فى تجويف خاص ، فانفتح باب القبو بأزيز خافت . ولم يكد الحارسان يتبينان (زياد) الحقيقى ، المقيّد إلى مقعد ثقيل فى منتصف القبو ، وفمه مغلق بكمامة سميكة ، حتى اتسعت عيونهما فى ذهول ، وقال (أدهم) فى سخرية :

ـ ألم أقل لكما إننا نتعلم بسرعة ؟

ولكن الرجلين تجاوزا ذهولهما فى لحظات ، شأن أى محترف ، وارتفعت فوهتا مدفعيهما الآليين نحو (أدهم) ، و ...

وانفتح باب آخر ..

باب للجحيم ..

* * *

التقط (قدرى) واحدة من الشطائر الموضوعة فى عناية أمامه ، ونقلها أمام (منى) ، وهو يقول فى حنان :

ـ التهمى هذه .

أزاحتها (منى) جانبًا ، وهى تقول :

ـ ليست لدى شهية لتناول الطعام .

قال متعاطفًا :

ـ ولكنها الحادية عشرة مساءً الآن ، وأنت هنا منذ الصباح الباكر ، ولم تتناولى شيئًا .

هزّت رأسها فى مرارة ، مغمغمة :

ـ صدقنى .. لن يمكننى هذا .

تنهد فى أسى ، وأزاح شطائره جانبًا بدوره ، وهو يقول :

ـ أنا أيضًا لايمكننى هذا .. إننى شديد القلق على



ولكن الرجلين تجاوزا ذهولهما فى لحظات ، شأن أى محترف وارتفعت فوهتا مدفعيهما الآليين نحو (أدهم) ..

(أدهم) هذه المرة .. قلبى يرتجف فى كل لحظة ، ويلوح لى أنه سيواجه هذه المرة خطرًا لا قبل له به .

تمتمت فى لهجة أقرب إلى البكاء :

ـ هذا شعورى أيضًا .

سمعا طرقات خافتة على باب الحجرة ، فاعتدل (قدرى) ، قائلًا :

ـ ادخل .

رأى الباب يُفتح فى هدوء ، ويدخل منه (حسام) صامتًا ، فهتف به :

ـ ماذا دهاك ؟.. لماذا تطرق الباب بهذا الخفوت ؟

أما (منى) ، فقد شعر قلبها بالخطر ، وارتجف صوتها ، وهى تقول :

ـ ماذا هناك يا (حسام) ؟

تطلع إليها (حسام) لحظة طويلة فى صمت ، قبل أن يقول :

ـ وصلت برقية شفرية عاجلة من (تل أبيب) .

هوى قلبها بين ضلوعها ، فى حين سأل (قدرى) :

ـ ماذا تقول ؟

صمت (حسام) لحظة أخرى ، ثم أجاب :

ـ (أدهم) داخل مبنى (الموساد) .

صاحت مذعورة :

- ماذا ؟!

وهتف (قدرى) :

- هل ألقوا القبض عليه ؟

أجابه (حسام) فى أسى :

- ليس بعد ، ولكنهم دفعوه إلى دخول مبناهم ، وأعدوا له فخًا هناك ، والمشكلة أنه لايدرك هذا .

صاحت (منى) :

- بل سيدركه .. لست تعرف (أدهم) كما أعرفه .. إنه محترف وعبقرى .. سيكشف أمرهم حتمًا ، ولن يمنحهم فرصة الإيقاع به .. هل تسمعنى يا (حسام) .. لن ينجحوا فى الإمساك بـ(أدهم صبرى) قط .

تمتم حسام :

- هذا ما نتمناه جميعًا يا (منى) .

نطقها بلهجة يائسة ، جعلت قلب (منى) ينتفض فى صدرها ، وعيناها تذوبان وسط نهر من الدموع ..

لم يمكنها أبدًا أن تتصور (أدهم صبرى) أسيرًا ..

وفى قبضة من ؟..

فى قبضة ألد خصومه وأعدائه ..

(الموساد) ..

لم يمكنها هذا أبدًا .

وفجأة ، انتفضت عروقها بانفعال جارف ..

انفعال جعلها تهبّ واقفة ، وتهتف فى حماس :

- أظن أنه قد حان الوقت .

سألها (حسام) فى حيرة :

- الوقت لماذا ؟

أجابته فى حسم وحزم :

- لنسافر إلى هناك يا (حسام) .

واكتسى صوتها بصرامة لامثيل لها ، وهى تضيف :

- إلى (تل أبيب) .

* * *

لم تكد فوهتا المدفعين الآليين ترتفعان فى وجه (أدهم) ، حتى تحرّك بسرعته المعهودة ، وغاصت قبضته فى معدة أحد الرجلين ، حتى انطلقت من حلقه صرخة ألم ، وانثنى بشدة ، فدفع (أدهم) ركبته فى أنفه ، وحطمه فى عنف ، ثم هوى على مؤخرة عنقه بلكمة كالقنبلة ، هوى لها الرجل على وجهه فاقد الوعى ..

كل هذا فعله (أدهم) فى ثانية واحدة ..

وفى الثانية التالية كان يلتفت إلى الرجل الآخر ، وينتزع منه مدفعه بضربتين بارعتين سريعتين كالبرق ..

وتراجع الرجل الثانى بسرعة ، وهتف فى غضب :

ـ لقد نجحت فى خداعنا يارجل، ولكنك لن تربح المعركة .

بذل (زياد) مجهودًا رهيبًا، ليتخلص من قيوده وكمامته، ولكن (أدهم) لم يلتفت إليه فى هذه اللحظة، وهو يركز بصره على الحارس الثانى، قائلاً فى سخرية :

ـ اترك مسألة الربح والخسارة هذه لله (سبحانه وتعالى).. المهم أننى أديت عملى جيدًا، ونجحت فى خداعكم جميعًا .

انقضَّ عليه الرجل، صائحًا :

ـ هذا ما تتصوَّره .

تفادى (أدهم) انقضاضته بحركة جانبية بارعة، ولكمه فى معدته لكمة قوية، ألقته جانبًا، ثم اقترب منه فى هدوء، قائلاً فى سخرية :

ـ بل هذه هى الحقيقة يارجل .. لقد رأيتمونى جميعًا فى الممر، وأدهشكم .. بل أذهلكم أن (زياد) قد نجح فى الفرار من القبو، على الرغم من كل هذه الاستحكامـــات، وإجراءات الأمن، ولم يخطر ببالكم قط أننى شخص آخر، مما جعلكم تقودوننى بكل حزم إلى القبو، وتتجاوزون كل الاستحكامات الإليكترونية، دون أن أبذل أنا جهدًا لهذا .. وهأنذا الآن داخل القبو، فهل نجحت فى خداعكم أم لا ؟

مرة أخرى راح (زياد) يقاوم قيوده فى عنف، فى حين هتف الرجل :

ـ ليس المهم هو دخول القبو يارجل .. المهم هو أن تنجح فى الخروج منه .

ثم استلَّ مسدسه فى سرعة، مستطردًا :

ـ وهذا ما سأمنعك من النجاح فيه .

ولكن (أدهم) وثب نحوه فى سرعة، وركل المسدس من يده بقدمه اليمنى، ثم حطمَّ أنفه باليسرى، وألقاه فاقد الوعى، وهو يقول :

ـ حاول يارجل .. حاول عندما تستعيد وعيك .

ثم اعتدل فى هدوء، والتفت إلى (زياد)، قائلاً :

ـ مرحبًا ياصديقى .. أتعشَّم ألا يكون هؤلاء الأوغاد قد أساءوا إليك كثيرًا .

راح (زياد) يقاوم قيوده فى عنف، فابتسم (أدهم)، قائلاً :

ـ احتملها لحظة واحدة أخرى ياصديقى، وسأخلصك منها إلى الأبد .

ثم اتجه إليه، ورفع الكمامة عن فمه، مستطردًا .

ـ والآن .. ماذا تريد أن تقول؟

صاح (زياد) فى مرارة :

- إنه فخ .. لقد أوقعوا بك .. إنه فخ .

اعتدل (أدهم) فى حركة حادة، ولم يكد يفعل، حتى هوت القضبان الحديدية من سقف القبو، وأحاطت بهما إحاطة السوار بالمعصم، حتى أصبحا داخل مايشبه قفصًا كبيرًا ..

وانعقد حاجبا (أدهم) فى شدة، وأعماقه تشعر بغضب شديد ..

لقد كان (زياد) على حق ..

لقد أوقعوا به فى الفخ ..

أوقعوا به كأى غر ساذج ..

وفى غمرة غضبه، انفتح باب القبو، وظهر على عتبته (موشى)، الذى تطلع إلى (أدهم) لحظة بنظرته الجامدة الباردة، قبل أن يقول :

- مرحبًا بك فى (الموساد) يا (أدهم).

وعلى الرغم من كل الغضب، الذى يملأ نفسه، والذى يسرى فى عروقه، ويجرى فيها مجرى الدم، ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة، وقال :

- أهلًا يا (موشى).. يالها من مصادفة طريفة!.. لم أتوقع قط رؤيتك هنا .

أجابه (موشى) فى برود :

- إنها أرضى يا (أدهم)، وأنت أخطأت كثيرًا، عندما اخترت ملعبى، لتلعب مباراتك الأخيرة .

قال (أدهم) ساخرًا :

- إننى أهوى هزيمة الخصم فى ملعبه دائمًا .

مطّ (موشى) شفتيه، وقال :

- متبجِّح أنت دائمًا يا (أدهم) .. إنك الآن بين أيدينا يارجل .. استسلم للواقع .

أجابه (أدهم) فى تهكم :

- المباراة لم تنته بعد .

هزّ (موشى) رأسه، وقال :

- بل انتهت يا (أدهم) .. انتهت فعليًا .

ومدّ يده إلى أحد رجاله، فناوله قناعا واقيًا من الغاز، ثبته على وجهه فى هدوء، وهو يضيف :

- لن يصدق الزملاء أنفسهم، عندما يعلمون أن (أدهم صبرى) الشهير .. الأسطورة، قد وقع فى قبضتنا .

وبإشارة أخرى من يده، انطلق غاز مخدّر، من عدة فجوات بالقبو، فصرخ (زياد) :

لاتستنشق هذا الغاز .. اكتم أنفاسك .

ولكن الغاز كان غزيرًا، وكثيفًا، فتسلّل إلى عقليهما، على الرغم من مقاومتهما، وهتف (أدهم) :

- سنلتقى فى الجولة القادمة يا (موش).

ظل (موش) صامتًا، حتى رأى (أدهم) يسقط فاقد الوعى، وغمغم:

- بل هى الجولة الأخيرة يا (أدهم).

قالها وهو يدرك أن (أدهم) قد سقط أخيرًا..

سقط فى قبضة العدو.

* * *

انتهى الجزء الثانى بحمد الله

ويليه الجزء الثالث

(أرض العدو)

المؤلف

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة



الثمن في مصر
ق
١٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

الخطر

- هل نجا (أدهم صبري) من حادث الميكروباص في قلب (تل أبيب)؟
- لماذا توجه (موشى عوزاليل) إلى مقر قيادة (سيمولاتور)؟
- ما الذي تسعى إليه (سونيا جراهام) بالتحديد؟.. وهل تنجح في مهمتها؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، لترى كيف يعمل ويقاتل (رجل المستحيل).



العدد القادم: أرض العدو